حملة اليونسكو

وأضواء جديدة على تاريخ النوبة

دكتور
محمد غيطاس

١٩٨٧

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

محتوى الكتاب

المقدمة **الصفحـة**

بســـم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

هذا الكتاب جزء من رسالة تقدمت بها فى سنة ١٩٨٥ م إلى كلية الآداب بسوهاج لنيل درجة الدكتوراه فى موضوع « التصوير فى بلاد النوبة منذ انتشار المسيحية حتى نهاية العصر المملوكى » . ويمثل ما يتضمنه هذا الكتاب ما تطلبته دراستى لهذا الموضوع من القاء للضوء على الجوانب التاريخية والحضارية الخاصة بالممالك المسيحية فى بلاد النوبة بعد اكتشافات حملة اليونسكو . ويلحظ الدارس لما نشر من بحوث عن الممالك المسيحية فى هذه البلاد قبل حفائر حملة اليونسكو أن ما تم نشره قد ضم ما اضافته اعمال الكشف السابقة ، غير أن الأمر يختلف بعد انتهاء هذه الحملة ، إذ تخلو المكتبة العربية مما يشير إلى الاستفادة من حفائرها وتقاريرها المنشورة . ولهذا قمت فى هذا الكتاب بتقديم قراءة لصفحات من تاريخ هذه البلاد فى ضوء ما كشفت عنه هذه الحفائر فى أربعة فصول : تحدثت فى الأول منها عن الكشوف الأثرية والبحث العلمى ببلاد النوبة ، فأشرت إلى أهمية المصادر التاريخية فى دراسة تاريخ النوبة فى العصور الوسطى وكذلك أهمية مشاهدات الرحالة وما تم من دراسات ميدانية . ثم تناولت ما قامت به بعثات المسح والتنقيب قبل حملة اليونسكو ثم ما صاحب التفكير فى بناء السد العالى من جهود لإنقاذ آثار النوبة وتوجية نداء اليونسكو للاستعانة بالخبرة الدولية والتمويل اللازم . واشرت إلى الجهود المصرية والسودانية فى هذا المجال وأثر ذلك فى الكشف عن آثار فاقت ما كان متوقعا وفيما اتيح من مادة علمية دفعت الدارسين إلى عقد الندوات ونشر التقارير والأبحاث .

أما الفصل الثانى : فقد تحدثت فيه عن دخول المسيحية إلى بلاد النوبة فى ضوء الاكتشافات الأثرية الحديثة ، فعرضت لجانب من أكثر جوانب تاريخ النوبة غموضا وهو عصر المجموعة س الذى شهد شعبه دخول المسيحية إلى

البلاد ، ثم تحدثت عن دخول المسيحية قبل التبشير الرسمى فى منتصف القرن السادس الميلادى وشواهد ذلك أثريا .

وتناولت فى الفصل الثالث : موضوع النظم والحضارة فى ممالك النوبة المسيحية فى ضوء ما قدمته الاكتشافات الأثرية بعد حملة اليونسكو ، واعتمادا على المادة التى وردت فى بعض المصادر التاريخية والمراجع المختلفة ، وعلى ما كان معروفا من خلال الاكتشافات الأثرية السابقة لحملة اليونسكو . وتحدثت فى البداية عن محاولات تحديد مراحل التطور فى التاريخ الحضارى لبلاد النوبة فى العصور الوسطى ولم يكن هذا ممكنا من قبل لقلة المادة المتاحة ثم أصبح ممكنا فى حدود التطور الفنى والمعمارى للبلاد وما اتصل بهذا التطور من أحداث وعلاقات أدت إليه أو أتت عليه . وانتقلت إلى الحديث عن مجتمع النوبة ونظامه السياسى فى ضوء ما وصلنا من معلومات جديدة ، ثم كان حديثى عن الحياة الاقتصادية والحياة الدينية فى البلاد فى ضوء الاكتشافات الحديثة أيضا .

وتحدثت فى الفصل الرابع : عن انتشار الإسلام وانهيار الممالك المسيحية فى النوبة وتناولت ما يتعلق بصلة العرب بالمنطقة قبل ظهور الإسلام وازدياد هجرة القبائل بعد الإسلام إليها واثر ذلك كله فى انتشار الإسلام والمسلمين وفى ضعف الممالك المسيحية بالبلاد . وعرضت لما كشفت عنه الآثار من وجود فعلى للمسلمين فى البلاد .

هذا وأرجو أن أكون قد وفقت فى تقديم هذه القراءة الجديدة لتاريخ بلاد النوبة فى العصور الوسطى . مع وافر شكرى وعرفانى لكل من مد يدا للعون فى انجاز هذا البحث ...

والله ولى التوفيـــق

محمد غيطاس

الفصل الأول

الكشوف الأثرية والبحث العلمى ببلاد النوبة

- مشاهدات الرحالة الاوربيين والدراسات الميدانية .
- أعمال المسح والكشف الأثرى قبل حملة اليونسكو
- حملة اليونسكو لانقاذ آثار النوبة فى مصر .
- بعثات التنقيب فى النوبة المصرية بعد نداء اليونسكو
- حملة اليونسكو فى السودان
- الندوات العلمية .

الفصـــل الأول
الكشوف الأثرية والبحث العلمى ببلاد النوبة

اتسم تاريخ الممالك المسيحية فى بلاد النوبة بالغموض ، إذ أن ماورد فى المصادر التاريخية عنها كان قليلا ، وجاء فى اشارات تميزت بالمبالغة والتحريف ، أو عن أحداث أدت فى النهاية إلى انهيار هذه الممالك[١]. وكان أغلب اعتماد من تناولوا دخول المسيحية بلاد النوبة بالدارسة على ما كتبه يوحنا الأفسسى[٢]، فقد ترك هذا المؤرخ المونوفيزيتى وصفا للنوبة فى وقت تحولها للمسيحية ، وما حدث من تنافس بين مبعوثى أنصار المذهبين المونوفيزيتى والملكانى لتنصير بلاد النوبة حسب المذهب الذى يتبعه كل فريق منهما[٣]. وإذا كان يوحنا الأفسسى قد غلبه الحماس لمذهبه المونوفيزيتى مما جعله يبالغ فيما قام به أتباع هذا المذهب فى النوبة ، ويغفل ما قامت به بعثة الملكانيين ومدى ما حققته من نجاح فى تنصير مملكة مقرة[٤] ، فإن هناك كاتبا آخر معاصرا له يدعى يوحنا البكلرى John of Biclarum ذكر أن أهل هذه المملكة أعتنقوا المسيحية فى سنة ٥٦٩ م[٥].

---

(١) Crowfoot, J.W., Christian Nubia, JAE XIII, P.142.

(٢) ولد يوحنا الأفسسى John of Ephesus فى أميدا بشمال العراق فى حوالى سنة ٥١٦ م ، ودون مؤلفه « التاريخ الكنسى » باللغة السريانية ، وكان من أتباع الكنيسة المصرية إلا أنه تولى الكثير من المناصب فى البلاط الأمبراطورى فى بيزنطة ، وأعطى أسقفية أفسس ، وكانت وفاته فى حوالى سنة ٥٨٦ م .

Kirwan, L.P., A Contemporary account of the conversion of the Sudan to christianity, SNR XX, Part II, P.289.

(٣) John of Ephesus, Ecclesiastical History, Book IV. ed. Payne Smith (1860).

(٤) Kirwan, SNR XX, Part II, PP.294F.

(٥) أتى يوحنا البكلرى شابا الى القسطنطينية للدراسة ، وظل بها من سنة ٥٦٧ م الى سنة ٥٧٦ م ، وعند عودته الى موطنه Lusitania أصبح مؤسس ورئيس دير Biclarum فى أسبانيا ، ومن هنا اشتق اسمه ، وتوفى فى سنة ٦١٠ م .

Kirwan, L.P., Christianity and the Kura'an, JAE XX, P.202.

وعلى الرغم مما قد يوجه إلى هذه المصادر من انتقادات ، فإنها كانت ولا تزال تمثل رغم قلتها المصدر الأساسي الذى نستمد منه معلوماتنا عن بلاد النوبة . والحقيقة أن معظم ما أجرى من حفائر ببلاد النوبة لم يكن له تأثير جوهرى على ما أمدتنا به هذه المصادر من معلومات تاريخية ، سواء بالتغيير أو الإضافة ، إلا في بعض المواقع الهامة مثل فرس وقصر ابريم . والاضافة الكبيرة التى أمدتنا بها هذه الحفائر تظهر واضحة فى الجانب الأثرى والفنى .

وتمثل المصادر التاريخية العربية أهم نبع نهل منه الدارسون لتاريخ بلاد النوبة . ويبرز من بين ما خلفه لنا المؤرخون المسيحيون ما جمعه ساويرس بن المقفع أسقف الاشمونين فى كتابه (تاريخ البطاركة) عن سير بطاركة الكنيسة المصرية فى الاسكندرية وعلاقة بعضهم بالنوبة ، وعلاقة ملوك النوبة بولاة وخلفاء مصر . وكذلك ما خلفه لنا أبو المكارم فى كتابه عن كنائس وأديرة مصر[1]، وما ورد فيه عن تاريخ النوبة المسيحية وعلاقتها بالدولتين الفاطمية والأيوبية ، وأحوالها وكنائسها وأديرتها .

ويبرز من بين ما تركه المؤرخون المسلمون ما دونه ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ) فى كتابه (فتوح مصر والمغرب) ، والبلاذرى (ت ٢٧٩ هـ) فى كتابه (فتوح البلدان) عن فتح بلاد النوبة ، وما كتبه أبو القاسم بن حوقل فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى فى كتابه (صورة الأرض) ، وهو من أهم الرحالة العرب شأن المسعودى (ت ٣٤٦ هـ) الذى دون مشاهداته أيضا خلال أسفاره فى كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) فى نفس الفترة . ومن أهم ما دون عن بلاد النوبة بعد القيام برحلة إليها : (أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل) لعبد الله ابن أحمد بن سليم الأسوانى ، ولم يعثر على نسخة من هذا الكتاب ، وإنما نقل بعضه إلينا المقريزى[2] (ت ٨٤٥ هـ) فى كتابه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط

(١) « كنائس وأديرة مصر » وهو للشيخ المؤتمن أبى المكارم جرجس بن مسعود (ت أوائل القرن السابع الهجرى) وليس لأبى صالح الأرمنى كما هو شائع .

(٢) يرجع الفضل فى ذكر مقتطفات من هذا الكتاب الى الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن محمد الرشيدى (٧٤١ هـ - ٨٠٣ هـ) وذلك فى الجزء الثالث من كتاب (الروض النضر والزهر=

والآثار) وتكمن الأهمية هنا فيما أورده ابن سليم عن أحوال بلاد النوبة حين أرسله إليها جوهر الصقلى سنة ٣٥٨ – ٣٥٩ هـ (٩٦٠ م) لدعوة ملك النوبة إلى اعتناق الإسلام ودفع ما عليه من البقط ، فتحدث عن أقاليمها وأحوالها الاقتصادية وأحوال المسلمين بها .

وتبرز أهمية المصادر العربية فى العصر المملوكى فيما سجلته من أحداث مرت ببلاد النوبة فى هذا العصر ، وانتهت بانهيار مملكة مقرة بها . ومن أهم هذه المصادر : (نهاية الأرب فى فنون الأدب) للنويرى (ت ٧٣٢ هـ) ، ومقدمة ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) وكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر) ، وكذلك (صبح الأعشى فى صناعة الانشا) للقلقشندى (ت ٨٢١ هـ) . ولم تقتصر أهمية ما كتبه المقريزى عن بلاد النوبة على ما نقله من كتاب ابن سليم ، إذ سجل لنا الكثير من الأحداث التاريخية بين مصر وبلاد النوبة فى كتابه (السلوك لمعرفة دول الملوك) وورد فى كتابه (البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب) الكثير عن القبائل العربية التى دخلت النوبة واستقرت بها .

مشاهدات الرحالة الأوربيين والدراسات الميدانية :

وتشكل مشاهدات الرحالة الأوربيين فى بلاد النوبة مصدرا من مصادر معلوماتنا عن هذه البلاد ، وتبدأ مدونات هؤلاء الرحالة فى الظهور اعتبارا من القرن الثامن عشر ، وكانت لأوصافهم وما نشروه من رسوم أهمية كبيرة فى

= العطر) وعنه أحد المقريزى ، ثم أحمد بن محمد بن محمد بى عبد السلام بى موسى الشهاب ابو الخير بن العز المنوفى ى كتابه (الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد) ، وفرغ منه سنة ٨٨٠ هـ . وهذا الكتاب هو الجزء الثالث من كتاب الرشيدى المشار اليه بعد اختصاره واعادة ترتيبه وتبويبه . انظر : محمد حمدى المناوى ، نهر النيل فى المكتبة العربية ص ٢٣٢ – ٢٣٥ وانظر ايضا :
Troupeau, G., La ''Descriptionde la Nubia'' D'al Uswani (IV/X Siecle). Arabica Revue d'Etude Arabes, Tome Premier 1954, PP.276-288.

وقت لم تكن قد ابتكرت فيه الات التصوير الفوتوغرافى[1] ويأتى على رأس هؤلاء الرحالة فرد ريك لويس نوردن F.L.Norden الذى أتى إلى مصر فى عام ١٧٣٧ م ، وسافر إلى السودان حيث زار آثار اليفنتين وفيله وكلابشة ووادى السبوع وكورسكو ، وعاد بعد أن وصل إلى الدر[2].

كذلك تعد رحلات بوركهارت John Lewis Burchardt الرحالة السويسرى[3] من أهم الرحلات التى حفظت لنا بعض أوصاف ورسوم الآثار فى المنطقة التى قام بزيارتها ، من ذلك آثار بعض الكنائس والأديرة فى ابريم وعقبة فريق وجزيرة كولب ووادى مرشد وسره غرب وفرس ووادى الدكة وفى معبد كلابشه وتافه[4].

ومن ذلك تلك البعثة العلمية التى أرسلت بناء على قرار من الملك فردريك وليام الرابع Frederic William IV ملك بروسيا فى سنة ١٨٤٢ ، وكان على رأسها الدكتور ريتشارد ليبسيوس Dr. Richard Lepsius ، وقامت الأكاديمية الملكية للعلوم The Royal **Academy** of Sciences بوضع الخطط المفصلة لهذه البعثة . ومما شاهده ليبسيوس فى رحلته فى ١٨ فبراير سنة ١٨٤٤ بالشاطئ الشرقى للنيل الأزرق اكواما كبيرة من الآجر خصصت للتصدير قرب أطلال سوبا ،

---

(١) لم يستخدم التصوير الفوتوغرافى فى منطقة النوبة إلا فى سنة ١٩٠٧ م على يد برستد J.H. Breasted عالم الآثار المصرية والمؤرخ الأمريكى ولتر ايمرى مصر وبلاد النوبة ص ٩٢ .
Norden, F.L., Voyage d'Egypte et de Nubie, III, Paris, 1798.

(٢) وصل بوركهارت الى القاهرة فى الرابع من سبتمبر سنة ١٨١٢ م . موفدا من الجمعية الافريقية فى لندن للقيام برحلة الى افريقيا لكشف الغموض المتصل بنهر النيجر ونهر النيل ، غير أنه لم يحقق هذا الغرض ، إذ قام برحلتين إلى بلاد النوبة ، سافر فى الأولى من إسنا حتى بلاد المحس شمال دنقلة ، ووصف خلالها ماحدث له وما رآه من آثار ، ثم عاد إلى أسوان ليبدأ رحلته الثانية عبر صحارى النوبة حتى سواكن ، ومنها إلى جدة فالقاهرة . وتوفى بوركهارت فى يوم ١٥ أكتوبر من سنة ١٨١٧ ، وكانت جنازته إسلامية كما رغب ، ودفن فى مصر ، ونشرت رحلاته "Travels in Nubia" سنة ١٨١٩ فى لندن ، وأعيد طبعها فى سنة ١٨٢٢ ، وهذه الطبعة الثانية هى التى اعتمدت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية عليها فى ترجمتها على يد الأستاذ فؤاد اندراوس بعنوان (رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان) سنة ١٩٥٩ . انظر مقدمة الترجمة لمحمد محمود الصياد ، ص ١١ - ٣٥ .

(٣) بوركهارت ، ص ٢٩ ، ٣٣-٣٤ و ٧٠ و ٧٥ و ٧٨ و ٩٤ و ١٠٢ و ١٠٧ .

ويذكر أنه فى وقت زيارته لهذه المدينة كان الطوب اللبن هو ما يصنع فقط بكل مكان بها ، ولهذا فإن الطوب المحروق يرجع إلى فترة أقدم ، ويقول إن هذه المادة تنقل بكميات كبيرة من سوبا إلى الخرطوم وغيرها . كما يذكر ليبسيوس أنه رأى تلالا من الأجر تغطى سهلا فسيحا بسوبا ، ويرجح أنها بقايا الكنائس التى وصفها ابن سليم الاسوانى ، وبالنظر إلى حالتها التى وجدها عليها فانه لم يستطع التعرف على شكلها[١].

ومن الآثار المسيحية التى زارها ليبسيوس أيضا أطلال دير مسيحى كبير فى وأدى غزالى ، بنيت كنيسته حتى مستوى النوافذ بالحجر الرملى الأبيض المنحوت بعناية ، وفوق ذلك بالطوب اللبن ، وغطيت الجدران بطبقة من الملاط ، زينت بالتصوير عليها ، كما يصف ليبسيوس أيضا بعض القلايات بالدير[٢]. وفى رحلة العودة رأى فى اقليم دنقلة بقايا كنائس زار ثلاثا منها ، وزار غيرها أيضا فى طريقه[٣] كما يشير إلى قلعة بجبل الدكة بداخلها أطلال مبان عديدة من بينها كنيسة صغيرة بازليكية الطراز[٤]، وفى ساى يشير إلى وجود بقايا مدينة وكنيسة قبطية[٥].

وتتعدد رحلات الأوربيين إلى النوبة ، إلا أن الكثير من مشاهداتهم يتسم بالعجلة وعدم الدقة وبخاصة ما يتعلق بالآثار المسيحية ، وبرغم هذا فان قيمتها تتمثل دائما فى لفت الانظار إلى ما فى هذه البلاد من آثار[٦].

وفى سنة ١٨٧٥ م قامت بعثة إلى السودان بغرض انشاء خط سكك حديدية بها ، وسجلت مشاهداتها ، ومنها ما يتعلق بكنيسة قبطية بنيت على قمة

(١) Lepsius, R. Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinai, P.162.

(٢) Ibid., P.218.

(٣) Ibid., PP.230F.

(٤) Ibid., P.231.

(٥) Ibid., P.237.

(٦) Hollond, E.J., Alady's Journal of her travels in Egypt and Nubia, 1858-9, P.150; Fairholt, F.W., up the Nile, and Home again, PP.403-405.

الصخرة على شاطئ النيل بمدينة دنقلة العجوز ، ويذكر F. Sidney Ensor الذى دون مشاهداته فى هذه الرحلة أن هذه الكنيسة خالية تماما من الجمال المعمارى ، إلا أنها ذات أهمية أثرية كبيرة ، ويشير إلى ما كان يزين جدرانها من تصاوير تم ترميم بعضها حديثا ، وإلى أنها رديئة ولا قيمة لها من الناحية الفنية(١).
ومن الملاحظ فى ضوء هذا اعتياد كثير من الرحالة على انطباعاتهم فى الحكم على الاعمال الفنية ، إلا أننا نلاحظ فى نهاية القرن التاسع عشر دقة الملاحظة عند كثير منهم إلى حد كبير ، ومحاولة بعضهم الاستفادة مما تركه الآخرون من معلومات فى تأصيل معرفتهم ، بل وكان لبعض ملاحظاتهم أثر فى مسار بعض أعمال الحفر والتنقيب فيما بعد . ومثال ذلك ما سجلته إميليا ادواردز(٢).
Amelia B. Edwards من مشاهدات فى كتابها :
"A thousand Miles up the Nile" London 1890.
وتشير اميليا ادواردز إلى ماشاهدته من صلبان حفرت على أبدان الأعمدة بمعبد فى فيله وإلى بناء ديرين على الشاطئ الشرقى للنيل ، وكنيسة صغيرة بازليكية الطراز فى النهاية الشمالية من الجزيرة(٣).

وقد استطاعت اميليا ادواردز التعرف على كيمان قسطل وبلانه باعتبارها أكواما صناعية(٤)، كما أشارت إلى بعض الأساسات الحجرية فى تافه ترجح أنها تحدد موقع دير قبطى(٥) ذكر كاترمير E. Quatremere أنه ورد فى مخطوط عربى قديم باسم دير انسون Ansoun(٦).

(١) Ensor, F.S., Incidents on a Journey through Nubia to Darfoor, PP.30-32.

(٢) ولدت اميليا ادواردز فى سنة ١٨٣١ م وتوفيت سنة ١٨٩٢ ، وقامت بتأسيس « صندوق التنقيب عن الآثار المصرية » فى سنة ١٨٨٢ ، وكانت أول سكرتيرة لتلك الهيئة التى لاتزال موجودة تحت اسم « جمعية الكشف عن الآثار المصرية » ، وقد أجرت هذه الجمعية حفائر عديدة تحت اشراف الأستاذ ولتر ايمرى Walter B.Emery كما وهبت هذه السيدة مكتبتها ومجموعاتها ومبلغا من المال لانشاء كرسى لعلم الآثار المصرية فى جامعة لندن ، وعين الاستاذ فلندرز بترى Flinders Petrie أول أستاذ لهذا العلم بناء على رغبتها ، وظل شاغلا لهذا المنصب مدة أربعين عاما حتى وفاته سنة ١٩٣٣ . ليرلى جرينر ، سد عال فوق أرض النوبة ، ص ٢٠ – ٢١ .

(٣) Amelia Edwards, A thousand Miles Up the Nile, PP. 216-220.

(٤) Ibid., P.332.

(٥) Ibid., PP.378F.

(٦) ذكر هذا الدير فى كتاب (كنائس وأديرة مصر) للشيخ المؤتمن جرجس بن مسعود حيث يذكر

وتتوفر دقة الملاحظة أيضا فى أعمال الرحالة الانجليزى E. Wallis Budge الذي قام بأربع رحلات خلال الفترة من سنة ١٨٩٧ إلى ١٩٠٥ لزيادة الأماكن الأثرية ، وتضم مؤلفاته عن مشاهداته فى هذه الأماكن عددا كبيرا من الرسوم والأشكال ، وكانت رحلته الرابعة بهدف مساعدة السودان فى إقامة متحف فى الخرطوم لنقل الآثار السودانية إليه ، وقد ساعده المسؤلون السودانيون فى تسجيل الكثير من الآثار ، ونقل إلى الخرطوم ما أمكن نقله منها ، كما نقل للمتحف البريطانى الكثير منها أيضا بمساعدة السلطات البريطانية فى السودان(١).

وبدأت الدراسة العلمية لآثار النوبة المسيحية عن طريق الزيارة الميدانية على يد جيوفرى ميلهام Geoffrey S. Mileham ، وسومرز كلارك Somers Clarke ، وكانت دراسة ميلهام لهذه الآثار فى مواقع عديدة من النوبة السفلى ، ضمنها كتابة :

Churches in Lower Nubia, Philadelphia, 1910.

وقام بشرح طرز العمارة فيها ومواد بنائها ، وخص بعض العمائر بدراسة مفصلة لموضعها وتخطيطها وتصاويرها إن وجدت . وكان هذا العمل يتبع ما قامت به بعثة جامعة بنسلفانيا التى شاركت فى الكشف الأثرى ببلاد النوبة . كذلك شاركت جامعة اكسفورد فى هذا الميدان اعتبارا من سنة ١٩٠٧ ، وكانت بعثتها بقيادة جريفيث F.Ll. Griffith الذى قام بنشر نتائج أعماله الخاصة بالآثار المسيحية فى النوبة خلال السنوات من ١٩٢٦ إلى ١٩٢٨ فى :

Annals of Archaeology and Anthropology, Liverpool.

وتناول فيها ما رآه من كنائس وجبانات وأفران للخزف فى فرس وما عثر عليه من منحوتات ومعالم معمارية مختلفة فى ادند ان وسره ومواقع مسيحية أخرى(٢).

= (ص ١٢٦) « ولهذه المدينة المذكورة أعنى مدينة تافه دير يعرف بدير أنسون وهو دير عتيق متقن البنا حسن الوضع »

Quatremere, E. Memoires Historiques et Geogrphiques sur L'Egypt et la Nubie. Paris 1811, Vol.II, P.55.

(١) شوقى الجمل ، تاريخ سودان وادى النيل ، جـ ١ ، ص ٢٩٨ .

(٢) Griffith, F.Ll., Oxford Excavations in Nubia

أما دراسة سومرز كلارك للعمائر المسيحية والتى نشرها فى كتابه :
Christian Antiquities in the Nile Valley, Oxford 1912.
فقد تعرض فيها لما شاهده خلال رحلته إلى بلاد النوبة سنة ١٨٩٩ من آثار مسيحية وكان اعتماده فى دراسة هذه الآثار قائما على الملاحظة السطحية لها دون حفائر ، وقد استغل ملاحظات ميلهام عن فحصه لكنائس فرس فى عمله .

أعمال المسح والكشف الأثرى قبل حملة اليونسكو :

ويلاحظ الدارس لأعمال الحفر والمسح الأثرى ببلاد النوبة منذ أوائل هذا القرن أن هذه الأعمال خضعت لعامل الضرورة ؛ إذ كان ارتفاع مياه التخزين نتيجة بناء سد أسوان وتعليته ثم بناء السد العالى خطرا هدد آثار بلاد النوبة بالفناء[1]، وكانت البداية مع طغيان ماء سد أسوان عام ١٩٠٢ على معابد جزيرة فيلة ، وكان لهذا الحدث أثره فى مسارعة البعثات العلمية للكشف عن آثار بلاد النوبة السفلى[2]؛ إذ قام وزير الاشغال العامة بارسال فرق من المهندسين لتقوية أساسات المعابد المهددة ، ومنها معبد فيله الذى أجريت بجواره أعمال التنقيب فى المنطقة المسيحية بالجزيرة على يد كابتن ليونز Captain lyons[3]

= LAAA XIII (1926); LAAA XIV (1927); LAAA XV (1928).

(١) تم الانتهاء من بناء خزان اسوان عام ١٩٠٢ ، وامتد هذا الخزان بطول أكثر من ميل وارتفاع مائة قدم ، وكان يقوم بتخزين تسعمائة وثمانين مليون متر مكعب من الماء فى بحيرة صناعية تمتد جنوبا مسافة مائة وأربعين ميلا . وبين سنة ١٩٠٧ و ١٩١٢ تمت التعلية الأولى لهذا السد بمقدار ستة عشر قدما ، فارتفعت مياه الخزان حتى وصلت الى منطقة وادى السبوع ، وأصبحت سعته ألفين وأربعمائة مليون من الأمتار المكعبة من المياه ، وهذه البحيرة الصناعية التى امتدت بذلك مائة وخمسة وثمانين ميلا كانت تغمر جزءا من فيلة ومعابد أخرى متعددة ، كما أنها هددت عدة مواقع أثرية أخرى . وبين عامى ١٩٢٩ ، ١٩٣٤ تمت التعلية الثانية فامتد الخزان مائتين وخمسة وعشرين ميلا حتى وادى حلفا ، وأصبحت سعته خمسة آلاف مليون متر مكعب من الماء ، وولتر ايمرى ، مصر وبلاد النوبة ، ص ٢٠ - ٢٢ .

(٢) عبد المنعم أبو بكر ، بلاد النوبة ، ص ٨٠ .

(٣) ايمرى ، المرجع السابق ، ص ٣٣ ؛ ثروت عكاشة ، انسان العصر يتوج رمسيس ، ص ٢٤ .

ونتيجة الشعور بالخطر الناجم عن التعلية الأولى لسد أسوان أمر ماسبيرو مدير عام مصلحة الآثار فى ذلك الوقت ارثر ويجال Arthur E.B. Weigall كبير مفتشي الاثار بالوجه القبلى بتفقد آثار النوبة والتوغل جنوبا حتى أبى سمبل . وعندما أعد ويجال تقريره المبدئى كانت قد تقررت تعلية الخزان مما سيؤدى إلى تهدم مناطق أثرية فيما بين الشلال ووادى السبوع ، ولذلك أرسل ويجال ثانية إلى النوبة سنة ١٩٠٦ ليعد تقريرا أكثر تفصيلا ، ويقدر تكاليف حفظ وصيانة المبانى القائمة ، وكذلك التنقيب فى المناطق التى يمكن تحديدها من المشاهدة السطحية . وقد نشر ويجال مسحه الأثرى فى سنة ١٩٠٧ بعنوان :

A Report on the Antiquities of Lower Nubia (The First Cataract to the Sudan frontier) and their condition in 1906- 7.

وحدد فيه أماكن أثرية متعددة من بينها بعض الكنائس المشيدة داخل المعابد ، وكنائس وأديرة أخرى .

وفى سنة ١٩٠٧ نظمت وزارة الاشغال العمومية (المسح الأثرى الأول) للنوبة بغرض إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الآثار وتسجيل مالا يمكن نقله ، وعهد بتنظيم هذا المسح إلى الكابتن ليونز Lyons المدير العام لمصلحة المساحة فقام بتعيين الدكتور جورج ريزنر Dr. George Reisner على رأس بعثة المسح ، وعين له ثلاثة مساعدين هم سيسيل فرث Mr. Cecil M. Firth وايلوارد بلاكمان A.M. Blackman واوريك بيتس Oric Bates وساعد ريزنر فى مجال التشريح جرافتن إليوت سميث Prof. G. Elliot Smith وانتهت أعمال الموسم الأول لهذه البعثة فى التاسع والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٠٨ ، وعثر خلاله على جبانات ومواقع سكنية من كل العصور[1] .

أما الموسم الثانى للمسح فقد بدأ فى أول اكتوبر سنة ١٩٠٨ ، وانتهى فى مارس سنة ١٩٠٩ ، وكانت البعثة تحت اشراف سيسيل فرث[2]. وفى الموسم الثالث (١٩٠٩ — ١٩١٠) حصر العمل حول منطقة الدكة[3]، وكان العمل

(١) Reisner, G.A., ASN, Report for 1907-1908.

(٢) Firth, C.M., ASN, Report for 1908-1909. Cairo 1912

(٣) = Firth, C.M., ASN, Bulletin No. 5 dealing with the Work from

فى الموسم الأخير (١٩١٠ - ١٩١١) بين الدكة ووادى السبوع ، ولم يستطع فرث نشر نتائج أعماله فى هذا الموسم إلا فى سنة ١٩٢٧[١].

وتناولت أعمال المسح والتنقيب فى هذه المواسم الآثار الباقية لمجموعات حضارية رمز لها بالأحرف A, B, C, D, X ، وتمثل كل مجموعة من هذه المجموعات عصرا معينا ، ونالت حضارة المجموعة X عناية خاصة من المنقبين والباحثين خلال هذا المسح الأول ، غير أن ماتم من اكتشافات لم يكن فى ضخامة ما تم خلال المسح الأثرى الثانى من أعمال الكشف الخاصة بهذه المجموعة التى شغلت الفترة الواقعة بين القرن الثالث الميلادى والقرن السادس الميلادى ، وحرص المنقبون فيما تم نشره على ذكر الشواهد التى تؤيد نسبة مقابر هذه المجموعة الحضارية لأى من البليميين أو النوباديين ، كما تبرز فيما نشر عن هذا المسح بعض الإشارات إلى مواقع أثرية مسيحية منها كنيسة ساباجورا على الشاطئ الشرقى أمام جرف حسين[٢]، وكنيسة المضيق (نجع العقبة) وما بها من تصاوير جدارية[٣]، بالاضافة إلى كنائس أخرى وصفت باختصار شديد .

وفى الوقت نفسه عملت مصلحة الآثار على تسجيل ونقل النقوش التى على المعابد ، إذ نظم السير جاستون ما سبيرو المدير العام مجموعة عمل مكونة من هنرى جوتييه Henri **Gauthier** الفرنسى ، وجونتر رودر Gunther Roeder الألمانى ، وايلوارد بلاكمان A.M. Blackman الانجليزى لهذا الغرض[٤].

= November 1 to December 31, 1909. Cairo 1910.

(١) Firth, ASN, Report for 1910-1911. Cairo 1927.

(٢) Firth, ASN, Report for 1908-1909, Vol.1, PP.35-36.

(٣) Firth, ASN, Report for 1910-1911, PP.234-5.

(٤) Maspero, G., "Rapport relatif â la Consolidation des Temples" (en titre: "les temples immergés de la Nubie") Le Caire 1911; M.Henri Gauthier, "Le Temple de Kalabcha" (entitre les Temples immergés de la Nubie") Tome Premier. Le Caire 1911.

وقامت مصلحة الآثار بتنظيم مسح أثرى ثان عندما قررت الحكومة المصرية سنة ١٩٢٩ تعلية خزان أسوان للمرة الثانية ،فرصدت مبالغ كبيرة من اعتمادات وزارة الاشغال الخاصة بالتعلية للبحث العلمى[١]، وعينت المصلحة ولترايمرى مديرا للمسح الأثرى ، وكيروان L.P. Kirwan مساعدا له . وكانت المنطقة المحددة للمسح تقع بين وادى السبوع والحدود السودانية ، أى من النقطة التى انتهى إليها المسح الأثرى الأول ، ووضعت الخطط لثلاثة مواسم عمل خلال السنوات ١٩٢٩ و ١٩٣٠ و ١٩٣١ باعتبارها كافية لتغطية المساحة الباقية حتى الحدود السودانية[٢]، ولكن طبيعة الكشوف خلال الموسم الثالث اقتضت مد العمل سنوات أخرى للكشف عن مقابر المجموعة X فى بلانه وقسطل[٣]، وأثمر العمل عن مجموعة كبيرة من المكتشفات كان لها دوى كبير فى مجال البحث العلمى ، وإن استمرت التساؤلات العديدة حول أصحاب هذه المقابر وأصلهم[٤]، وكان للدكتور أحمد البطراوى فى تشريحه للبقايا الآدمية بهذه المقابر دور كبير فى محاولة التحقق من شعب المجموعة X[٥].

---

(١) تقرير مصلحة الآثار عن آثار بلاد النوبة المهددة بالغرق لمناسبة مشروع السد العالى ١٩٥٥ ، ص ٣ .

(٢) Emery, W.B., Preliminary report of the work of the Arch. Survey of Nubia 1929-1930. ASAE, Tome XXX. Le Caire 1930; Emery and Kirwan, The Excavations and Survey Between Wadi'es Sebua and Adindan 1929-1931.

(٣) استغرقت حفائر ايمرى فى قسطل وبلانة ثلاثة عشر شهرا فى أربعة مواسم هى :
الموسم الأول من أول نوفمبر ١٩٣١ إلى ١٨ مارس ١٩٣٢ .
الموسم الثانى من ٢١ أكتوبر ١٩٣٢ إلى ٨ يناير ١٩٣٣ .
الموسم الثالث من ٢١ مارس ١٩٣٣ إلى ٢٨ مايو ١٩٣٣ .
الموسم الرابع من ١٥ أكتوبر ١٩٣٣ إلى ٩ فبراير ١٩٣٤ .
انظر :
Emery, W.B., The Royal Tombs of Ballana and Qustul. 2 Vols. Cairo 1938, P.2.

(٤) Emery, Preliminary report of the work of the arch. Survey of Nubia 1932-34. ASAE. t XXXIII. Le Caire 1933; id., The Royal Tombs of Ballana and Qustul; id., Nubian Treasure, London 1948.

(٥) Ahmed M.El-Batrawi, ''Mission Archoelogique de Nubie 1929-1934. =

ولم تقتصر أعمال المسح الثانى على آثار المجموعات الحضارية السابق ذكرها ، فقد بعثت مصلحة الآثار الأستاذ الإيطالى مونريه دى فيار لدراسة وتسجيل الآثار المسيحية فى النوبة تسجيلا عاما مع رسم المساقط والقطاعات دون تنقيب ، مما جعل التسجيل غير كامل . غير أن عمله يعد رغم هذا أهم عمل عن آثار النوبة المسيحية قبل اكتشافات حملة اليونسكو ، فقد ضم مؤلفه(١) ما كان معروفا عن النوبة حتى سنة ١٩٣٨ ، وأمدنا بقدر كبير من المادة المصورة للمواقع الأثرية من كنائس وأديرة وشواهد قبور ومنحوتات وتصاوير جدارية ، بالاضافة إلى كثير من المساقط الأفقية والقطاعات الرأسية للأبنية .

وإلى جانب أعمال المسح والتنقيب التى قامت بها مصلحة الآ ثار فى هذه الفترة ، قامت بعض البعثات الأجنبية بأعمال الحفر والتنقيب أيضا ، مثل بعثة جامعة هارفارد ، ومتحف بوسطن للفن بين سنتى ١٩٢٤ و ١٩٣٢ تحت اشراف ريزنر ، وكذلك بعثة جامعة اكسفورد تحت اشراف جريفيث وكروان فى سنة ١٩٣٠ وبين سنتى ١٩٣٤ و ١٩٣٦(٢).

وخلال الفترة الواقعة بين نهاية اعمال المسح الأثرى الثانى وبداية حملة اليونسكو نجد نشاطا ملحوظا فى مصلحة الآثار السودانية فى إعداد قوائم بالمواقع الأثرية بالنوبة السودانية ، كما نلحظ نشاطا كبيرا فى مجال البحث العلمى بين الدارسين الذين أثاروا العديد من القضايا الخاصة بتاريخ النوبة مستفيدين من المادة الأثرية التى تم اكتشافها حتى ذلك الوقت . وظهر أغلب ما نشر من أبحاثهم فى مجلتى كوش Kush والسودان فى مدونات ورسائل Sudan Notes and Records (SNR) .

ويبرز هذا النشاط العلمى فى مصر بوجه خاص ، حيث لم تنته اثارة الجوانب العلمية الخاصة بتاريخ النوبة بانتهاء أعمال المسح الأثرى الثانى بل تفرغ

''Report on the human remains. Cairo 1935. =

(١) Monneret De Villard, La Nubia Medioevale, 4 Vols Le Caire (1935-1957).

(٢) ايمرى ، مصر وبلاد النوبة ، ص ٩٤ – ٩٥ .

العلماء والدارسون لمعالجة هذه الجوانب معتمدين أيضا على ماتم اكتشافه حتى ذلك الحين .

حملة اليونسكو لانقاذ آثار النوبة فى مصر :

وفى سنة ١٩٥٤ – ومع التفكير فى انشاء السد العالى – بدأت مرحلة جديدة من مراحل القلق على مصير آثار بلاد النوبة ، والعمل الجاد لإنقاذها ؛ إذ قرر مجلس الآثار الأعلى بوزارة التربية والتعليم – وكانت تتبعها مصلحة الآثار فى ذلك الوقت – إيفاد بعثة إلى بلاد النوبة لوضع تقرير عن إنقاذ هذه الآثار . وكانت مهمة هذه البعثة تتلخص فى حصر الأماكن الاثرية التى ستغمرها المياه ببلاد النوبة ، وحصر الأماكن التى تحتاج إلى رفع وتسجيل ، والأماكن التى ينبغى إجراء حفائر بها ، والنظر فى إنقاذ ما يمكن إنقاذه عن طريق نقل المبنى بأكمله أو نقل أجزاء منه أو بصيانة ما يمكن صيانته منها ، وكذلك إعداد برنامج للعمل يتضمن خطة العمل ومدته والاعتمادات اللازمة له . وقامت هذه البعثة من القاهرة فى الثانى والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٥٤ ، وقدمت تقريرها فى السادس والعشرين من يناير سنة ١٩٥٥ ؛ وقامت مصلحة الآثار بنشره فى يونيه من نفس السنة باللغات العربية والانجليزية والفرنسية . وأشارت اللجنة فى تقريرها إلى الحاجة الماسة لفحص بعض الجبانات ببلانه فى البر الغربى[1]، وأوصت بتسجيل الآثار المهددة ونقوشها ، ونقل بعض المعابد والتماثيل . ورأت اللجنة نزع الرسوم المسيحية بمعبد السبوع إن أمكن ذلك[2]، كما رأت تصوير المناظر المسيحية بمعبد أبى عوده بأفلام ملونة ، ونقل بعضها كذلك[3].

ولم تكن الامكانات الفنية والمادية المتوفرة لدى مصلحة الآثار كافية للقيام بعملية إنقاذ تغطى حجم العمل المطلوب ، فقامت مصلحة الآثار بتوزيع هذا التقرير على الهيئات العلمية المختلفة فى أنحاء العالم لحثها على المساهمة فى أعمال

(١) تقرير مصلحة الآثار ١٩٥٥ ، ص ١٣ .

(٢) التقرير السابق ، ص ١٠ .

(٣) التقرير السابق ، ص ١٢ .

الحفر والتنقيب ، ولم يستجب لذلك سوى « المعهد الألمانى للآثار المصرية بالقاهرة » الذى أرسل بعثة للعمل فى عمدا سنة ١٩٥٨ ، وقامت جامعة الاسكندرية فى عامى ١٩٥٨ - ١٩٥٩ بالحفر فى منطقة عدة . كذلك أوفدت مصلحة الآثار بعثة لاستكمال أعمال الحفر فى منطقتى قسطل وبلانه .

وكان لإنشاء مركز تسجيل الآثار المصرية سنة ١٩٥٥ بالاتفاق بين وزارة التربية والتعليم ومنظمة اليونسكو أثر كبير فى توفير بعض الفنيين والعلماء والأدوات لتسجيل ودراسة الآثار المصرية وبخاصة فى صعيد مصر . غير أن بدء تنفيذ مشروع السد العالى جعل المركز يتجه بنشاطه العلمى نحو بلاد النوبة ، فقام بإرسال بعثاته اعتبارا من سنة ١٩٥٥ لتسجيل آثار النوبة ، واعداد الخرائط التوضيحية لها ، وتصويرها ، ورفعها هندسيا ، ونسخ ما بها من نصوص ، ووصفها أثريا ، ونشر ذلك نشرا علميا .

وفى عام ١٩٥٩ انتقلت مصلحة الآثار ومركز تسجيل الآثار إلى وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، وبدأت الوزارة فى البحث عن العون الدولى واجتذاب الهيئات العلمية للحصول على المساعدات اللازمة للقيام بمشروع لإنقاذ آثار النوبة ، فأعدت كتابا أرسلته إلى منظمة اليونسكو فى السادس من أبريل سنة ١٩٥٩ ضمنته رغبة الجمهورية العربية المتحدة فى الحصول على مساعداتها عن طريق القيام بأعمال الحفر والتنقيب للكشف عن المناطق الأثرية التى لم يكشف عنها بعد ، وبخاصة فى المستويات التى تعلو مائة وواحدا وعشرين مترا فوق سطح البحر ، وكذلك تصوير بلاد النوبة بطريقة « الفوتوجرامترى » لعمل خرائط للمنطقة المهددة بالغرق ، واستكمال تسجيل المعابد والمقاصير والمقابر والنقوش المحفورة ، وفك أحجار المعابد المشيدة ونقلها خارج المنطقة المهددة ، والعمل على إيجاد مكان يعاد تشييدها فيه ، وكذلك العمل على إيجاد طريقة لإنقاذ المعابد المنقورة فى باطن الصخر(١).

وعرض كتاب مصر على المجلس التنفيذى لمنظمة اليونسكو فى دورته الرابعة والخمسين خلال شهر يونية سنة ١٩٥٩ ، وتم فى هذه الدورة التوصية بايفاد

(١) عبد المنعم أبو بكر ، بلاد النوبة ، ص ٨٧ - ٨٨ .

بعض الخبراء إلى النوبة لدراسة النواحى المختلفة لإنقاذ آثارها ، وأن يعقد بعد ذلك مؤتمر دولى يضم عددا من المتخصصين لدراسة المشروعات المختلفة التى تحفظ تراث النوبة على أن تقدم التقارير الخاصة بذلك فى الدورة الخامسة والخمسين للمجلس ، والتى تقرر عقدها فى شهرى نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٥٩ .

وأتى وفد اليونسكو إلى مصر فى منتصف يوليه سنة ١٩٥٩ ، وانتهت لقاءاته مع الجانب المصرى بوضع مذكرة فى الثانى والعشرين من نفس الشهر تضمنت العديد من المقترحات ، منها توجيه منظمة اليونسكو لنداء عالمى إلى الدول والهيئات المختلفة للمساهمة فى إنقاذ آثار النوبة ، كما شملت المذكرة تصريحا رسميا لمصر يحدد مطالبها ويبين المنح التى سوف تمنحها للهيئات المساهمة فى المشروع ، كما تضمنت المذكرة الدعوة لعقد مؤتمر دولى للخبراء لوضع خطة لهذا العمل وذلك فى أول اكتوبر من عام ١٩٥٩ ، وقيام اليونسكو بإيفاد بعثة لتصوير النوبة من الجو على أن توضع الخرائط تحت يد البعثات ، وأن تُنشىء كل من مصر واليونسكو مكتبا لإنقاذ آثار النوبة ، وكان هذا المكتب قد انشىء فى مصر فى يناير سنة ١٩٥٩[١].

وعلى الفور شرعت منظمة اليونسكو فى تنفيذ التزاماتها فقدمت بعثة المعهد الجغرافى القومى الفرنسى فى أغسطس سنة ١٩٥٩ لتصوير بلاد النوبة من الجو ، وفى نفس الوقت كان الخبراء الذين أوفدتهم منظمة اليونسكو لوضع التقارير عن معابد النوبة وإمكانات انقاذها يقومون بعملهم . كذلك كلف الخبراء بمصلحة الآثار ومركز تسجيل الآثار باعداد أبحاث عن أعمال الحفر المرجوة ، وعن برامج التسجيل التى يمكن تحقيقها[٢].

وفى أول اكتوبر سنة ١٩٥٩ عقد مؤتمر الخبراء الدوليين بمركز تسجيل الآثار وحضره ثلاثة عشر خبيرا فى الآثار والجيولوجيا والهندسة والمعمار من دول مختلفة وحضر علماء الآثار المصريون ومديرو معاهد الآثار الأجنبية فى

---

(١) ثروت عكاشة ، انسان العصر يتوج رمسيس ، ص ٣١ – ٣٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢ – ٣٣ .

الجمهورية العربية المتحدة ، وأعلنت مصر فى هذا المؤتمر مطالبها ، ووعدت بمنح البعثات التى تقبل العمل فى النوبة ما يعادل نصف الآثار المكتشفة ، مع استثناء الآثار الفريدة وتلك التى تكمل مجموعات أثرية فى متاحفنا[١]. كما وعدت مصر بالتصريح للمعاهد والجامعات التى تعمل فى بلاد النوبة باستئناف الحفر فى المناطق الأثرية الأخرى بمصر بعد الانتهاء من عملها بالنوبة ، كذلك وعدت بمنح بعض القطع الأثرية للدول التى تساهم بعروض كبيرة فى مشروع الإنقاذ ، ومنح بعض معابد النوبة لمن تسهم بمبالغ كبيرة فى هذا المشروع ، وهذه المعابد هى تافه ودابود ودندور والليسيه والدر[٢].

وسافر أعضاء المؤتمر إلى بلاد النوبة فى الفترة من الثانى إلى التاسع من اكتوبر سنة ١٩٥٩ ، وتفقدوا آثارها ، وواصلوا اجتماعاتهم بعد ذلك بالقاهرة واختتموها بالتوصيات التالية :

أولا : الكشف عن جميع المناطق التى تضم آثارا مدفونة فى باطنها ، والتى تقع فوق مستوى مائة وواحد وعشرين مترا ، أى عند أعلى مستو تصل إليه مياه خزان أسوان مع الاستعانة بالخرائط المساحية ، وأوصت اللجنة بالاهتمام بآثار العصرين المسيحى والاسلامى .

ثانيا : إرسال مصلحة الآثار لبعثتين لمسح بلاد النوبة كلها لتعيين المناطق الأثرية غير المعروفة .

---

(١) لم يكن هذا المبدأ غريبا على نظام العمل فى مصلحة الآثار ، إذ كان قانون الآثار فى مصر فى عام ١٩٢١ – أى قبل العثور على مقبرة توت عنخ امون – يقضى باعطاء المنقب نصف مايعثر عليه ، وذلك عملا على جذب البعثات الأجنبية للعمل فى مصر ، وكانت هذه البعثات تعتمد فى تمويل أعمالها على تبرعات إدارات المتاحف والمؤسسات التى كانت حريصة على تزويد مجموعاتها الأثرية بتحف جديدة الى جانب زيادة المعرفة التاريخية والأثرية . ولكن بعد الضجة التى ثارت عقب اكتشاف مقبرة توت عنخ امون قامت مصر بتعديل قانون الآثار بحيث لم يعد للمنقب الحق فى أى شيء مما يعثر عليه ورغم هذا كان المنقب يحصل على القطع المزدوجة ثم صعب ذلك على البعثات مما أدى إلى إحجامها تدريجيا عن المشاركة فى أعمال الحفر لصعوبة حصولها على التمويل اللازم . ولهذا كانت عودة الحكومة المصرية الى القانون القديم . وكان هذا القانون معمولا به فى السودان بصفة دائمة .

أنظر : إيمرى ، مصر وبلاد النوبة ، ص ٢٥ – ٢٦ .

(٢) عبد المنعم أبو بكر ، بلاد النوبة ، ص ٨٩ – ٩٠ .

ثالثـا : حماية المعابد الأثرية فى أماكنها – إن أمكن ذلك وإذا استحال الأمر وجب أن تنقل وتشيد فى واحتين ، على أن تكون الواحة الأولى فى منطقة كلابشة والثانية فى منطقة أبو سمبل[1].

وعرض تقرير مؤتمر الخبراء على المجلس التنفيذى لليونسكو فى دورته الخامسة والخمسين خلال شهرى نوفمبر وديسمبر من عام ١٩٥٩ ، وانتهى المجلس إلى قرار جماعى أوصى فيه بتوجيه نداء دولى لتقديم المساعدات المالية لتنفيذ مشروع الإنقاذ ، كما أوصى المجلس بتشكيل لجان قومية من الدول الأعضاء لحث الدول المساهمة فى أعمال الإنقاذ على المشاركة الجادة ، وأوصى بتشكيل لجان دولية لرعاية المشروع . ثم صدر قرار وزارى فى مصر بتشكيل لجنة استشارية دولية سنة ١٩٦٠ ، على أن تتكون من اثنى عشر عضوا من بينهم ثمانية علماء من الخارج[2].

وفى الثامن من مارس عام ١٩٦٠ وجه المدير العام لليونسكو النداء الدولى من اليونسكو بباريس للمساهمة فى إنقاذ آثار النوبة فى مصر والسودان[3].

ولم تدخر مصر جهدا طوال هذه الحملة من أجل العمل على نجاح هذه الجهود ودعوة دول العالم إلى المشاركة الفعالة ، إذ اضطلع جهاز إنقاذ آثار النوبة بدور فعال فى هذا الميدان ، كما اعتمدت مبالغ من ميزانية السد العالى لنقل بعض المعابد ، ومبالغ لأعمال التنقيب والبحث العلمى ، وتمت زيادة اعتمادات مركز تسجيل الآثار للصرف على اعماله فى بلاد النوبة . كذلك نظمت مصر معرضا متجولا باسم « خمسة الاف سنة من الفن المصرى » طاف ببلجيكا وهولندا وسويسرا وألمانيا ، كما عرضت مجموعة من آثار توت

(١) المرجع السابق ، ص ٩٠ – ٩١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٣ – ٩٥ .

(٣) ثروت عكاشة ، انسان العصر يتوج رمسيس ، ص ٣٨ ، شحاته آدم ، نصر تحقق فى بلاد النوبة : مصر (رسالة اليونسكو ٢٢٤ – ٢٢٥ ، مارس – ابريل ١٩٨٠) ص ٧ .

عنخ أمون فى عدة بلدان[1]. وقد أثمرت هذه الجهود عن استجابة واسعة تمثلت فى تقديم كثير من الدول لمعونتها المادية أو الفنية أو العلمية .

بعثات التنقيب فى النوبة المصرية بعد نداء اليونسكو :

شاركت بعض البعثات المصرية فى أعمال الحفر والتنقيب عن آثار بلاد النوبة بعد أن وجهت منظمة اليونسكو نداءها . ومن البعثات التى كان لها فضل الكشف عن الآثار المسيحية بالمنطقة بعثة مصلحة الآثار فى قسطل وبلانه وتافه ودابود وكلابشه وعمدا ووادى السبوع[2]، وبعثة جامعة الاسكندرية ، وكانت حفائرها فى جبل عدة[3]. ومن الجدير بالملاحظة أن المقابر الاسلامية التى عثرت عليها هذه البعثة لم تفحص وقت اكتشافها لعدم وجود متخصصين فى الآثار الإسلامية بين اعضاء البعثة ، وهى ظاهرة عامة تميزت بها البعثات الأخرى مما أدى إلى ضياع كثير من المادة الأثرية والمعلومات الخاصة بالآثار الإسلامية فى بلاد النوبة .

أما البعثات الأجنبية فكانت منها البعثة المشتركة لمعهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو والمعهد السويسرى بالقاهرة ، وكانت حفائرها فى المنطقة بين خوردهميت وبيت الوالى[4]، وبعثة المعهد التشيكوسلوفاكى للآثار المصرية

(١) ساعد على هذا أيضا ماتم من دعوات لأدباء العالم وعلمائه ورحال أعلامه وأعضاء السلك السياسى به لمشاهدة آثار النوبة ، وكذلك ماتم من تصوير أفلام عن هذه الآثار ، وما أصدر من طوابع بريدية . عبد المنعم أبو بكر ، المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

(٢) Shafik Farid, Excavation of the Antiquities Department at El-Sebu (1963). Fouilles En Nubie II, P.74; id., Qustul, Ballana, Tafa, Debod, Kalabsha, Amada and Wadi El-Sebu,. Actes du II Symposium, PP.1-6.

(٣) Mostafa El-Amir, Fouilles de L'universite d'Alexandrie a Gebel Adda (1959). Fouilles En Nubie I, PP.35-38.

(٤) Keith C.Seele, From Khor Dehmit to Beit El-Wali, Oriental Institute Egyptian Asswan High Dam Program. Joint Expedition with the Schweizerisches Institut Report of Season 1960-1961. Fouilles En Nubie I, PP.79, 82 and 84; Herbert Ricke, Some

بجامعة تشارلز ، وكانت حفائرها فى تافه حيث تم الكشف عن معبد تافه الجنوبى الذى بناه الرومان واستخدمه المسيحيون كنيسة[١]، كذلك بعثة جامعتى ميلان وروما التى قامت بحفائرها فى دهميت وكلابشة وأخمندى والمحرقة وكوبان وساباجورا وتاميت[٢]، وبعثة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية وكانت حفائرها بمعبد السبوع[٣]، ومركز الأبحاث الأمريكى الذ ى قام بحفائره فى جبل عدة[٤]، ومعهد الآثار الألمانى بالقاهرة وقام بحفائره فى عمدا ، وأجرى مسحا أثريا في ساباجورا وأخمندى وتاميت وغيرها[٥]، وبعثة جامعة

= Additional Remarks. Concerning the results of the Excavation in the area between Khor Dehmit and Beit El-Wali. Fouilles En Nubie I, PP.87F.

(١) Zbynek Zaba, Tafa and Qertassi, Czechoslovak Institute of Egyptology of Charles University, Asswan High Dam Program, Report of Season 1961. Fouilles En Nubie I, P:50; id., Second Season (1962) of the Czechoslovak Institute of Egyptology in Nubia: Tafa and Qertassi institute Techecoslovaque d'Egyptologie de l'Universite Charles. Fouilles En Nubie II, P.211.

(٢) Donadoni, S..Sabagura, Travaux de l'Universite de Milan Campagne Nubienne (1960). Fouilles En Nubie I, PP.13, 15; id., Heira Sykaminos, Ikhmindi, Tamit et Quban. Actes du II Symposium, PP.61-71.

(٣) Daumas, Francois, Temple de Ouadi Es-Sebou, Exploration de Sayyala a Ouadi es-Sebou, Actes du II Symposium, PP.83-87.

(٤) Millet, N.B., Gebel Adda: Progress Report of the Nubian Expedition of the American Research Centre in Egypt, Inc. Season 1963. Fouilles en Nubie II, PP.123-126; id., Gebel Adda. Actes du II Symposium, PP.109-122.

(٥) Hanns Stock, Excavations at Amada (First Season, Spring 1959). Fouilles en Nubie I. PP.102, 107; Arnold, D., and Grossmann, P., Amada, Temple of Kalabsha, Christian Monuments, and Rock Inscriptions. Actes du II Symposium, PP.91-93.

استراسبورج وأجرت حفائرها فى توماس[١]، وبعثة جامعتى ييل وبنسلفانيا بالولايات المتحدة الامريكية وقامت بحفائرها فى توشكى وارمنا[٢]، وبعثة معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو وكانت حفائرها فى بلانه وقسطل وقصر الوز[٣].

وفى قصر ابريم أجرت جمعية التنقيب عن الآثار المصرية بلندن حفائر ذات أهمية كبيرة فيما يتعلق بتاريخ النوبة المسيحية ، وتولى ايمرى الاشراف على أعمال الموسم الأول الذى بدأ فى الثامن والعشرين من يناير سنة ١٩٦١ ثم تولى المهمة مارتن بلملى J.M. Plumley[٤].

وفى قرية عبد الله نرق قامت البعثة الهولندية التابعة للمتحف الوطنى للآثار

---

(١) Leclant, J., Rapport Preliminaire sur la mission de l'Universite de Strasbourg a Tomas (1961). (Fouilles En Nubie I, p.25.

(٢) William Kelly Simpson, Toshka-Arminna, Brief Preliminary Report, Pennsylvania-Yale Archaeological Expedition to Nubia, 1961. Fouilles En Nubie I, PP.41-43; id, Toshka-Arminna 1962, The Pennsylvania -Yale Archaeological Expedition to Nubia. Fouilles En Nubie II, PP.170-184; id., The Pennsylvania-Yale Expedition to Egypt, Preliminary Report for 1963: Toshka and Arminna (Nubia). Fouilles En Nubie II, PP.185-194.

(٣) Seele, K.C., Ballana, Qustul and Qasr El Wizz. Actes du II Symposium, PP.23-31.

(٤) Emery, W.B., Egypt Exploration Society, Preliminary Report on Excavations at Kasr Ibrim, 1961. Fouilles En Nubie II, PP.55-60; id., Buhen, Kor , The Nubian Survey, Ibrim. Actes du II Symposium, PP. 95-108; Plumley, J.M., Exploration Society Expedition to Qasr Ibrim 1963, Preliminary Report. Fouilles En Nubie II, PP.141-144; id., Qasr Ibrim 1963-1964, JEA 50 (1964); id., Qasr Ibrim 1966, JEA 52 (1966); id., Some Examples of Christain Art from the Excavations at Qasr Ibrim. Nubische Kunst (1970); id., Qasr Ibrim, 1976, JEA 63, 1977.

بليدن بحفائرها من سنة ١٩٦٢ إلى سنة ١٩٦٤[1]، وكشف عن كنيسة ازدانت بتصاوير جدارية تأتى من ناحية القيمة الفنية بعد تصاوير كأتدرائية فرس . وتولت بعثة أكاديمية العلوم المجرية The Hungerian Academy of Science استكشاف موقع البلدة فى آخر صيف وأول خريف عام ١٩٦٤ .

حملة اليونسكو فى السودان :

لم يحظ الجزء الواقع من بلاد النوبة فى السودان قبل حملة اليونسكو بما حظى به الجزء الواقع فى الأراضى المصرية من اقبال لبعثات الحفر والتنقيب ولاشك أن الاهتمام الكبير والمبكر من العلماء بالنوبة المصرية يرجع إلى معرفة ما بها من آثار من فترة مبكرة ، وإلى سهولة الوصول إليها نسبيا ، كما أن ما تبع بناء سد أسوان وعمليات التعلية من مسح وتنقيب أعطى العلماء صورة لما يتطلبه العمل فى النوبة المصرية ، ولا يعنى هذا أنه لم تكن هناك محاولات للتنبيه إلى ضرورة العمل على تدعيم وحماية آثار النوبة فى السودان قبل التفكير فى بناء السد العالى ، فقد سبق التنبيه إلى ما تتعرض له آثار السودان من طغيان الرمال عليها ، وإلى قلة الدعم المادى الذى تحتاجه حماية هذه الآثار وكشفها[2].

ومع التفكير فى بناء السد العالى ، اهتمت مصلحة الآثار السودانية على الفور بالمواقع التى ستتعرض للغرق ، فتم تنفيذ مسح مبدئى لشاطىء النيل بين الحدود المصرية والشلال الثانى فى سنة ١٩٥٥ و ١٩٥٦ على يد البروفيسور Jean Vercoutter مدير الآثار والسيد ثابت حسن ثابت كبير مفتشى الآثار وقتئذ ، ونتج عن هذا العمل اكتشاف العديد من المواقع الجديدة ، ومن ثم

(١) Klassens, A., DutchArchaeologicalMission to Nubia, the Excavation at abu Simble North 1962-1964. Fouilles En Nubie II, PP.79-86; Hans D.Schneider, Abdallah Nirqi-Description and Chronology of the Central Church with Special Refrence to the Objects and Pottery. Nubische Kunst 1970; Moorsel, Paul Van, Jacquet, J., and Hans Schneider, the Central Church of Abdallah Nirqi.Leiden 1975.

(٢) Myers, O.H., The Consolidation and Protection of Ancient Monument of the Sudan. SNR, Vol. XXIX, Part II, 1948.

برزت الحاجة إلى برنامج كامل موسع للكشف والتنقيب فى كل مكان بالقسم المهدد من النوبة[1].

وفى سنة ١٩٥٦ و ١٩٥٧ قامت مصلحة المساحة السودانية بعمل مسح جوى بين كوشا والحدود المصرية مما جعل مصلحة الآثار تطلب مساعدة اليونسكو فى إمدادها بخبير لدراسة وتفسير صور هذا المسح الجوى . وفى اكتوبر سنة ١٩٥٩ أوفدت اليونسكو الدكتور وليام آدمز لهذه المهمة ، وهو أمريكى كان يعمل استاذا للانثروبولوجيا بجامعة كينتاكى Kentucky ، وعمل خلال الخمسينيات مديرا لأعمال التنقيب وانقاذ الآثار ، وبدعوة اليونسكو له للعمل فى السودان قام بتخطيط وتنفيذ عمليات الكشف عن الآثار ، إلى جانب تنسيق عمل بعثات أثرية أخرى . وتحت إدارته تم مسح جوى جديد على نطاق أكبر ، وقامت اليونسكو بمد مهمته بعد اكتمال المسح الجوى ، فقام بقيادة المسح الأثرى فى النوبة ، واستئناف العمل الميدانى من خلال مصلحة الآثار . وتركت مناطق تحتاج إلى إجراء حفائر على نطاق كبير للبعثات الأجنبية التى قد تشارك فى حملة اليونسكو[2]، كذلك شارك فى هذا العمل من قبل اليونسكو مستر G.J. Verwers ومستر H.A. Nordstrom . وباستجابة الهيئات العلمية لنداء اليونسكو توافدت البعثات الأثرية إلى السودان ، وقامت بأعمالها التى كان لكثير منها نتائج علمية ذات أهمية كبيرة .

وهكذا يمكن تقسيم اعمال المسح الأثرى والتنقيب عن الآثار فى هذه المرحلة إلى قسمين :

القسم الأول ويشمل أعمال مسح وتنقيب تمت على يد مصلحة الآثار السودانية بمشورة خبراء اليونسكو .

والقسم الثانى ويشمل أعمال مسح وتنقيب تركت للبعثات الأجنبية .

وفيما يتعلق بالقسم الأول فقد تم اختيار الشاطئ الغربى للنيل لبدء العمل ،

---

(١) Adams, W.Y., Archaeological Survey of Sudanese Nubia, Introduction. Kush IX, P.7.

(٢) Adams, Ibid., PP.7-8.

وتقرر البدء من الحدود المصرية والاتجاه نحو الجنوب حتى يمكن الاحاطة بأكثر المواقع المهددة تهديدا مباشرا ، وكانت البداية من فرس غرب بأقصى شمال السودان . وعلى الرغم من أن هذه المنطقة قد أجريت بها حفائر ودراسات ميدانية على يد جريفيث وميلهام – كما أشرت من قبل – فإن ما تم على يد مصلحة الآثار أثبت أن المنطقة تحتاج إلى مزيد من الفحص ، وإلى نقل للرمال المتراكمة فى كل مكان بها ، ومن هنا ترك الجزء الأكبر من العمل فى فرس لبعثة المركز البولندى لآثار البحر الأبيض المتوسط بجامعة وارسو ، واكتفت مصلحة الآثار بحفائر الخزف فى هذه المدينة ، وهى حفائر أجريت للكشف عن مجموعة الأفران التى سبق ان لاحظها ميلهام[١]، ونقب عنها جريفيث تنقيبا غير كامل[٢]، وكانت هذه الحفائر التى أجرتها مصلحة الآثار فى أوائل عام ١٩٦٠ تحت اشراف وليام آدامز[٣]. وكشفت اعمال المسح والتنقيب عن أفران أخرى فى سره غرب ودبيره شرق وأرجن وجزيرة دباروسا وجزيرة عبكه وجماعى غرب ، وفى مواقع أخرى حتى دنقلة العجوز[٤].

وتمت أعمال المسح والتنقيب على يد مصلحة الآثار السودانية واشراف خبراء اليونسكو فى فرس غرب وعكشه وسره غرب ودبيره غرب وأرجن وجزيرة دباروسا خلال موسمين (أبريل – مايو ١٩٦٠ ويناير – ابريل ١٩٦١)[٥]. أما الموسم الثالث فقد جرى فيه العمل خلال الفترة بين ٢١ اكتوبر سنة ١٩٦١ و ١٩ ابريل سنة ١٩٦٢ ، وامتد العمل من قرية عبد القادر على بعد ثمانية كيلومترات جنوب جزيرة دباروسا إلى حدود قرية جماعى غرب ، وتم كشف مواقع أثرية كثيرة فاقت ما كان متوقعا[٦]. وكرس العمل

(١) Mileham, Churches in Lower Nubia, P. 25.

(٢) Griffith, LAAA XIII, PP. 63 – 65.

(٣) Adams, W.Y., The christian Potteries at Faras, Kush IX (1961).

(٤) Adams, W. Y., Pottery Kiln Excavations. Kush X (1962).

(٥) Verwers, G.J., The Survey from Faras to Gezira Dabarosa. Kush X (1962); Hans-Ake Nordström, Excavations and Survey in Faras, Argin and Gizira Dabarosa Kush X (1962).

(٦) Adams, W.Y., and Hans - Ake Nordstrom, The Archaeological survey on the west Bank of the Nile. Third Season 1961 – 62. Kush XI (1963).

فى سنوات ١٩٦٢ و ١٩٦٣ و ١٩٦٤ بصفة رئيسية لأعمال التنقيب فى مينارتى جنوب الشلال الثانى مباشرة(١).

أما فى القسم الثاني والذى يشمل أعمال المسح والتنقيب التى قامت بها بعثات أجنبية ، فإننا نلاحظ نشاطا كبيراً يتمثل فى اكتشاف العديد من المواقع ، والتنقيب فى كثير منها تنقيبا علميا منظما ، مما أسفر عن اكتشافات تعد إضافة حقيقية لمعرفتنا بحضارة بلاد النوبة فى العصور الوسطى .

ومن أعمال المسح والتنقيب تلك التى قامت بها البعثة الاسكندنافية المشتركة والمكونة من فنلنده والدانمارك والنرويج والسويد على الشاطئ الشرقى للنيل من فرس إلى جماعى ، واستغرق عمل هذه البعثة أربعة مواسم من سنة ١٩٦١ إلى سنة ١٩٦٤(٢).

كذلك أسهمت غانا فى إنقاذ آثار النوبة فى السودان ؛ إذ قامت بعثة من جامعة غانا بالتنقيب فى دبيره غرب الواقعة على بعد حوالى ١٤ ميلا شمال وادى حلفا وتمتد على نهر النيل حوالى ميلين ، وبدأت البعثة عملها فى ٢١ أكتوبر سنة ١٩٦١ ، واستغرق عملها ثلاثة مواسم انتهى الموسم الأخير منها فى ٢٠ مارس سنة ١٩٦٤(٣).

---

(١) Adams; W.Y., Sudan Antiquites Service Excavations in Nubia, Fourth season, 1962 – 63. Kush XII (1964); id., Sudan antiquites Service Excavations at Meinarti, 1963 – 1964. Kush XIII (1965).

(٢) Torgny Save- Söderberg, Preliminary report of the Scandinavian Joint Expedition (Archaeological investigations between Faras and Gemai. November 1961 – March 1962) Kush XI (1963); id., Christian Nubia- The excavations carried out by the Scandinavian Joint Expedition to Sudanes Nubia. Nubische Kunst (1970).

(٣) Shinnie, P.L., The University of Ghana Excavations at Debeita West. Kush XI (1963); id., The University of Ghana Excavations at Debeira west 1963. Kush XII (1964); id., The University of Ghana excavations at Debeira West 1964. XIII (1965).

كما قامت بعثة أثرية اسبانية بالتنقيب فى جزيرة قصر ايكو وجزيرة عبكة[١].

واشترك أعضاء البعثة الأثرية لمؤسسة هنرى بلاكمر الأمريكية ومركز الدراسات الشرقية بجامعة جنيف فى إجراء حفائر بمنطقة عكاشة على الشاطىء الشرق للنيل[٢].

ونقبت بعثة لجامعة روما فى سونكى عن كنيسة بها تصاوير وذلك فى سنة ١٩٦٦[٣]. وقامت بعثة تتبع معهد الآثار الألمانى بإجراء حفائر فى جزر سونارتى وتنجور وكولب خلال ثلاثة مواسم من سنة ١٩٦٧ إلى ١٩٦٩[٤].

وفى سنة ١٩٦٩ قامت بعثة جامعة كنتاكى بحفائر فى جزيرة كولب الواقعة على بعد حوالى ١٣٠ كم جنوب وادى حلفا[٥].

وتعد حفائر بعثة المركز البولندى لآثار البحر الابيض المتوسط التابع لجامعة وارسو فى فرس غرب أهم حفائر أجريت فى بلاد النوبة من ناحية ما اضافته إلى معرفتنا عن النوبة المسيحية تاريخيا وأثريا . وعلى الرغم من قصر المدة التى أتيحت لهذه البعثة للقيام بأعمالها فى فرس ، فإن ما تم اكتشافه من خلال أسلوب علمى منظم ودقيق ، وما تم نشره عن هذه الحفائر يشير بوضوح إلى أن هذا العمل يعد من أهم الأعمال التى تحققت خلال حملة اليونسكو ، وقد استغرق عمل البعثة أربعة مواسم ، امتد الموسم الأول من ٢ فبراير إلى ٦

---

(١) Almargo, M., F. Presedo and M. Pellicer, Preliminary report on the Spanish excavations the Sudan 1961 – 1962. Kush XI (1963).

(٢) Charles Maystre, Fouilles Americano-Suisses aux églises de Kageras, Ukma Est et Songi Sud. Nubische Kunst 1970.

(٣) Donadoni, S., Les Fouilles à l'Eglise de sonqi Tino Nubische Kunst (1970).

(٤) Dinkler, E., Die Deutschen Ausgrabungen auf den inslen Sunnarti, Tangur Und in Kulb. Nubische Kunst (1970).

(٥) Adams, W. Y., The University of Kentucky excavations at Kulubnarti 1969. Nubische Kunst (1970).

مارس ١٩٦١[١]. وامتد الموسم الثانى من ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦١ إلى ١٩ فبراير ١٩٦٢[٢]. والموسم الثالث من ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٦٢إلى ١٠ابريل ١٩٦٣[٣]. أما الموسم الرابع والاخير فقد امتد من ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٦٣ إلى ٢٨ ابريل ١٩٦٤[٤].

ولم تنته هذه الحملة الدولية باكتمال عملية الإنقاذ ؛ إذ استمرت بعض البعثات فى اعمالها فى مناطق سمح الإرتفاع البطىء لمستوى الماء بها باستمرار الحفر والتنقيب ، مثل قصر ابريم . وكان طغيان الماء على فرس فى سنة ١٩٦٤ وإنتهاء أعمال البعثة البولندية فيها سببا فى إنتقال نشاط هذه البعثة إلى دنقلة العجوز الواقعة خارج نطاق التهديد[٥].

الندوات العلمية :

وإذا كانت المرحلة الأولى من مراحل البحث العلمى فى تاريخ النوبة المسيحية تتمثل فى تلك الدراسات التى تمت أثناء التعليتين الأولى والثانية ،

(١) Michalowski, K., Polish Excavations at Faras, 1961. Kush X (1962).

(٢) Michalowski, K., Polish excavations at Faras. Second season, 1961 – 62. Kush XI (1963).

(٣) Michalowski; K., Polish excavations at Faras, 1962 – 63. Kush XII (1964).

(٤) Michalowski, K., Polish excavations at Faras- Fourth season 1963 – 64 Kush XIII (1965).

(٥) Michalowski, K., Polish excavations at Old Dongola First season, November- December 1964. Kush XIV (1966); id., les fouilles Polonaises a Dongola. Nubische Kunst (1970); Jakobielski, S., Polish excavations at old Dongola, 1969. Nubische Kunst (1970).

وانظر تقرير مصلحة الآثار السودانية في المؤتمر السادس للآثار في البلاد العربية (ليبيا – طرابلس من ١٨ – ١٩٧١/٩/٢٧ . القاهرة (١٩٧٣) ص ٣١٤ .

كما قامت بعثة فرنسية بعمل حفائر في ساي ، وكانت أيضاً بعيدة عن خطر الغرق . انظر :

Vercoutter, J., Les trouvailles chretiennes Francaises a Aksha, Mirgissa et Sai. Nubische Kunst (1970).

والتى تضمنت أعمالا أولية عن الكنيسة النوبية ، وفى اعمال سومرز كلارك وميلهام وجريفيث ، ثم فى العمل الكبير لمونريه دى فيار عن النوبة فى العصور الوسطى وكذلك أبحاث الدكتور مصطفى مسعد ، فان المرحلة الثانية تتمثل فيما نشر من تقارير مبدئية عما أجرى من أعمال مسح اثرى وتنقيبات فى مئات المواقع التى تم كشفها والتى حوت آثارا من عصور مختلفة .

أما المرحلة الثالثة فتتمثل فى مجموعة الندوات التى تم عقدها ، والتى أتاحت الفرصة للعلماء لتبادل الخبرة وطرق البحث . وتفتتح هذه الندوات بالندوة التى عقدها المجمع العلمى المصرى فى عام ١٩٦٥ فى القاهرة من ١ - ٣ مارس عن الملامح المختلفة لبلاد النوبة قديما وحديثا ، ونشرت بعض أبحاث هذه الندوة فى عام ١٩٦٩ فى :

Actes du Symposium international sur la Nubie, (Mars 1965) Mem. de L'institut d' Egypte, Tome LIX. Le Caire 1965.

وعقدت ندوة ثانية فى الفترة من ١ - ٣ فبراير سنة ١٩٧١ ، قدم فيها رؤساء بعثات الحفر تقارير عن نتائج أعمالهم ، نشر بعضها فى :

Actes du II^{E} symposium interna tional sur la Nubie (Fevrier 1-3, 1971) Organisé par L'institut d' Egypte edité par Labib Habachi. Le Caira 1981.

أما فى أوربا فقد افتتحت هذه الندوات بالندوة التى تم عقدها فى فيلاهيجل بمدينة Essen خلال الفترة بين ٧ - ١١ سبتمبر سنة ١٩٦٩ ، أى قرب نهاية المعرض الذى اقيم فى هذا الموضع لمكتشفات فرس (١٤ مايو - ١٤ سبتمبر ١٩٦٩)[١] وحضر هذه الندوة دارسون متخصصون فى فن وحضارة النوبة ، وشارك معظمهم فى إجراء حفائر بالنوبة ، ونشرت الأبحاث التى القيت فى هذه الندوة فى :

---

(١) سبق عرض مكتشفات فرس في معرض للفن القبطي ، أقيم في فيلا هيجل نفسها في الفترة بين ٣ مايو و ١٥ أغسطس سنة ١٩٦٣ ، وانتقل هذا المعرض إلى بلدان أوربية أخرى مثل زيوريخ وفيينا وفي صالة العرض الرئيسية لليونسكو في باريس . انظر :

Michalowski, Faras, Wall- Paintings. P. 7.

Kunst und Geschichte Nubiens in chrislicher Zeit, Bongers Verlag, Recklinghausen 1970.

وعقدت الندوة الثانية فى وارسو فى أول يوم لافتتاح معرض دائم لفن النوبة المسيحية فى المتحف الوطنى بوارسو ، أى يوم ١٩ يونية سنة ١٩٧٢ ، وانتهى هذا المعرض فى الثانى والعشرين من الشهر نفسه . وفى هذه الندوة أسست الجمعية الدولية للدراسات النوبية The International Society for Nubian Studies.
ومركز توثيق النوبيات The Centre of Nubiological Documentation
فى وارسو . ونشرت ابحاث هذه الندوة فى :

Michalowski, K, Nubia, recentes recherches, Actes du colloque de Nubiologie international au Musee na tional de Varsovie, 19-22 Juin, Varsovie 1975.

وعقدت الندوة الثالثة فى Chantilly بقرنسا بين ٢ يولية و ٦ يولية سنة ١٩٧٥ ، والرابعة فى كمبردج من ٣ يولية إلى ٨ يولية سنة ١٩٧٨ ،والخامسة فى هايدلبرج Heidelberg سنة ١٩٨٢ .

وفى نفس الوقت صدرت أعمال تعتمد على نشر نتائج الحفائر من خلال دراسة متخصصة ، تقوم على معرفة نتائج التنقيبات الأحرى ، والدراسات التى قامت حولها مثل :

Michalowski, K., Faras, Wall - Paintings..; Jakobielski,s., A history of the Bishopric of pachoras on the Basis of coptic inscriptions. Warszawa (1972); Godlewski, W., Faras VI, les baptisteres nubiens, Varsovie, 1979.

وإلى جانب هذه الأعمال صدرت اعمال على هيئة مجموعة من الأبحاث المختلفة فى كتاب واحد ، ومنها :

Nubia christiana, Tom I, warszawa 1982.

كما ظهرت عدة أبحاث نشرت فيها وجهات نظر جديدة عن تاريخ النوبة المسيحية من خلال الاستفادة من نتائج أعمال التنقيب[1].

(١) من ذلك : Adams, W.Y., Post-Pharaonic Nubia in the Light of Archaeology I, JEA 50 (1964), PP. 102 – 120; id., II, JEA 51 (1965), PP. 160 – 178; id., III, JEA 52 (1966), PP. 147 – 162.

الفصـــل الثانى

دخول المسيحية بــلاد النوبــة
فى ضــوء الاكتشافات الأثرية الحديثة

- حضارة المجموعة المجهولة (المجموعة س) .
- دخول المسيحية بلاد النوبة قبل التبشير الرسمى .
- الدخول المبكر للمسيحية فى ضوء الشواهد الأثرية .
- البعثات التبشيرية المسيحية .

الفصل الثانى
دخول المسيحية بلاد النوبة
فى ضوء الاكتشافات الأثرية الحديثة

حضارة المجموعة المجهولة (المجموعة س) :

تعد الفترة الواقعة بين سقوط مملكة مروى وبين التبشير الرسمى بالمسيحية فى منتصف القرن السادس الميلادى ، أشد الفترات غموضا فى تاريخ النوبة ، ومن هنا كان اطلاق علماء الآثار عليها عصر المجموعة X أوس ، إذ تعددت الآراء ، وتضاربت حول أصل النوبيين ومراحل تاريخهم ، والعناصر التى دخلت بلادهم واندمجت فيهم خلال هذه الفترة ، ويثبت تحليل البقايا المتخلفة من آثار هذه المجموعة أنه بعد سقوط الدولة المروية هاجرت بعض القبائل التى أتت بمجموعة أو مجموعات سلالية جديدة إلى المنطقة ؛ واستطاعت احدى هذه المجموعات المهاجرة أن تبسط سيادتها على بعض السكان المرويين المقيمين فى النوبة السفلى ، ومن خلال الاندماج والتجانس بينهم حضاريا تحققت تركيبة اجتماعية وثقافية جديدة ، كونت لها حكما محليا قويا فى بلانه أو بالقرب منها[1].

وكشفت الحفائر الأثرية فى مقابر أصحاب المجموعة س عن الميراث المروى الذى آل اليهم ، فالفخار الذى عثر عليه يشبه الفخار المروى المتأخر[2]، وذلك باستثناء المستورد منه ، ونمط مقابرهم منحدر من النماذج المروية ، كما أن ملوكهم اتخذوا لأنفسهم تيجان وشارات الملكية المروية ، ويبرز أثاث مقابرهم التأثيرين المروى والبيزنطى[3]. وكشفت دراسة العلماء للبقايا الآدمية بمقابر هذه

(١) Adams, W.Y., Post Pharaonic Nubia in the light of Archaeology II, JEA 50, PP. 160, 168.

(٢) Firth, A.S.N., Report for 1910 – 1911, P. 42.

ايمري ، مصر وبلاد النوبة ، ص ٢٥١ .

(٣) Emery, Preliminary report of the work of A.S.N. 1932–34. ASAE, t. XXXIII, pp. 201–202; id., The Royal Tombs of Ballana and Qustul, pp. 18f.

ايمري ، مصر وبلاد النوبة ، ص ٢٥٤ – ٢٥٥ .

المجموعة عن وجود الأثر الزنجي واضحا مختلطا بالأثر الحامى ، ومعنى هذا أن هجرة مفاجئة من الجنوب قد حدثت فى الفترة الواقعة بين القرنين الثانى والرابع الميلاديين واستقر أصحابها فى بلاد النوبة ، ولم يكن أفراد هذه الهجرة أعضاء فرقة عسكرية مهاجمة ، فقد ضمت من النساء عددا مساويا لعدد الرجال ورغم هذا فان رحلتهم إلى الشمال لم تكن سلمية تماما ، إذ يبدو انهم اضطروا إلى القتال من أجل اقامتهم ، ويتضح هذا من الإصابات المختلفة فى جماجم بعضهم[1].

وتشير التنقيبات التى قام بها ايمرى فى بلانه وقسطل إلى أن أصحاب المقابر فيهما هم ملوك ونبلاء هذه المجموعة . أما مقابر نفس المجموعة فى إبريم وكلابشه وعده وفرس وفركا (جماعى) وساى وغيرها ، فانها من نفس النمط فى طريقة الدفن والانشاء والمخلفات الأثرية الشائعة ، غير أنها نماذج عامة وفقيرة[2]. ويرجح ايمرى أن عدة التى كانت تقع قبالة بلانه هى العاصمة المفقودة لشعب هذه المجموعة ، وأنها كانت مقر الملوك الذين حكموا النوبة من القرن الرابع إلى منتصف القرن السادس الميلادى[3]. والحقيقة أن ما تم من حفائر بعد ذلك فى قلعة عدة لم يقطع بهذا الرأى ، فقد عثرت بعثة جامعة الاسكندرية بها على مقابر رجحت أنها تشكل امتدادا نحو الشمال لما فى قسطل[4]. أما حفائر بعثة مركز الأبحاث الامريكى فى جبل عده من ١٩٦٣ إلى ١٩٦٦ فلم تكشف عن مقابر وآثار تشير إلى أنها مقابر ملوك المجموعة س ، وربما يرجع ذلك إلى ما أجرى من تنظيف كامل للجبل فى العصر المسيحى[5].

---

(١) Elliot Smith and Dr. D.E. Derry, Anatomical report. In A.S.N., Bull. No 5, pp. 11–13; Firth, C.M., A.S.N., Report for 1910–1911, P. 37; Ahmed El-Batrawi, Mission Archéologique de Nubie 1929–1934 Report on the human remains, pp. 176f.

(٢) Emery, The royal tombs of Ballana and Qustul, pp. 18f.

(٣) ايمري ؛ مصر وبلاد النوبة ، ص ٢٤٩ ، ٢٥١ .

(٤) Mostapha El Amir, Fouilles en Nubie I, pp. 37f.

(٥) Millet, N., Gebel Adda, Actes du II symposium, p. 115.

ورغم هذه الحقائق العامة التى تم استخلاصها من مقابر الكيمان الخاصة بالمجموعة س ، فإن الاختلاف حول القبائل التى يمكن نسبة هذه المجموعة إليها كان شديدا ، ويرجع ذلك بصفة أساسية إلى تناقض المعلومات التاريخية التى وصلتنا وتشابكها ، فمن العلماء من نسبها إلى البليميين Blemmyes ، وهذه التسمية هى التى أطلقها الكتاب القدماء من اليونانيين والرومان على البجة أو البجاة ،وهم بدو مسلحون من أصل حامى ، وتنقلوا فى الصحراء الشرقية شمالا وجنوبا ، ومنهم من رحل إلى الصحراء النوبية ، وانتشروا فى كردفان وغيرها . وفى القرن الثانى للميلاد انتشرت قبائلهم فى النوبة السفلى فى المنطقة الواقعة جنوب الحدود الرومانية فى المحرقة ، ومن المرجح أنهم شعبة أو أكثر من البجة ولا سيما القريبين من الحدود الجنوبية لمصر ، وهم الذين سيطروا على مناجم الذهب والزمرد فى الصحراء الشرقية[1]، واحتلوا اقليم دوديكا خوينوس Dodekaschoinos فى النوبة السفلى فى القرن الخامس كما يؤكد اوليمبيودوروس Olympiodorus ، الذى يذكر انه زار جماعات البليميين فى أرض النوبة السفلى « دوديكاخوينوس » ثم زار بقية البليميين الذين يعيشون فى الصحراء الشرقية ، حيث توجد مناجم الزمرد[2].

ويقول بركوبيوس Procopius المؤرخ الرومانى إن شعوبا كثيرة من بينها النوباتيون (النباطيون) Nobatae والبليميون تعيش فى المنطقة الممتدة من أكسوم إلى الحدود المصرية عند اليفنتين ، بيدأن البليميين يسكنون الجهات الوسطى ، ويحتل النوباتيون ضفتى النيل[3]

ونتيجة للغارات المتكررة التى قام بها هؤلاء البليميون على الحدود الرومانية ، قرر دقلديانوس (٢٨٤ – ٣٠٥ م) فى سنة ٢٩٧ م الانسحاب من منطقة

(١) مصطفى مسعد ، البحة والعرب في العصور الوسطى ، ص ٧ .

(٢) Kirwan, L.P., Studies in the later History of Nubia, LAAA XXIV, P. 76.

(٣) Kirwan, L.P., Notes on the topography of the Christian Nubian Kingdoms, JEA XXI, P. 57; Emery, The Royal tombs of Ballana and Qustul, P.7.

مصطفى مسعد ، البجة والعرب في العصور الوسطى ، ص ٦ .

دوديكاخوينوس ونقل الحامية الرومانية من المحرقة إلى أسوان واليفنتين وعمل على ايجاد دولة فاصلة بينه وبين تلك القبائل المغيرة فأغرى النوباتيين فى الواحة الخارجة بالاستقرار فى المنطقة التى انسحب منها[١]، وقبل النوباتيون المهمة واحتلوا المدن الرومانية على جانبى النيل فيما وراء اليفنتين . وقرر الامبراطور اعطاءهم وكذلك البليميين مبلغا من الذهب على أن تتوقف اغاراتهم على الحدود الرومانية[٢].

كما رأى دقلذيانوس استغلال عاطفة البليميين الدينية فأقام فى جزيرة بالنيل قرب اليفنتين معبدا جمع فيه رموز عقائد البليميين والنوباتيين والرومان ليدل على ان رابطة دينية تجمع بينهم جميعا .

ويميل ايمرى إلى نسبة حضارة هذه المجموعة المجهولة إلى البليميين استنادا إلى ما تقدم من المادة التاريخية ، كما يستند فى ذلك إلى ما ذكره Strabo من أن البليميين كانوا رعايا لمروى وعبدوا الآلهة المصرية القديمة ، ومن هنا فَهُم فى رأيه الورثة الطبيعيون للحضارة المروية[٣]. ويعلل ايمرى كثرة التحف البيزنطية الطراز فى مقابر المجموعة س بأنها من الأسلاب التى جمعها البليميون خلال هجماتهم المتكررة على مصر العليا[٤].

والحقيقة أن هذه الدلائل التى اعتمد عليها ايمرى فى نسبة آثار المجموعة س إلى البليميين تخالف حقائق أخرى عرفت عن أصحاب هذه المجموعة ،ومنها أن بقاياهم تدل على أنها لقوم عرفوا الاستقرار ، ومارسوا الزراعة ، فى الوقت الذى عرف فيه عن البليميين أنهم شعب رعوى متنقل ، وكانت إقامتهم فى النوبة السفلى مؤقتة ، ولم يتخطوا فيها ابريم ، فى حين ظهرت آثار هذه المجموعة جنوبى الشلال الثانى[٥]. كما أن فحص الجماجم بمقابر هذه المجموعة أثبت وجود

(١) Emery, op. cit.; id., Nubian Treasure, P. 28.

(٢) ايمري ، مصر وبلاد النوبة ، ص ٢٤٣ – ٢٤٤ .

(٣) Emery, Preliminary report of A.S.N., 1932–34; ASAE, t. XXXIII, P. 206; id., The Royal tombs of Ballana and Qustul, P.22.

(٤) Emery, The Royal tombs of Ballana and Qustul, P. 23.

(٥) مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ص ١٧ –١٨

نسبة كبيرة من الدماء الزنجية ، وهى تختلف عن ذلك الجنس الحامى الذى ينتسب إليه البليميون .

إن ما ظهر من شواهد أثرية وتاريخية أخرى جعل بعض العلماء ينسبون هذه الحضارة إلى مجموعات أخرى ، ومن هؤلاء فرث C.M. Firth الذى يرى أن أصحاب هذه المجموعة هم النوباتيون الذين دخلوا بلاد النوبة بمساع من دقلديانوس لصد غارات البليميين ، أو أن أصحابها هم افراد هجرة اثيوبية متأخرة[١]، وليسوا بالبليميين الذين احتلوا منطقة اكبر وعصرا أطول مما تمثله قبور المجموعة س[٢].

وهناك رأى آخر ينسب أصحاب هذه الحضارة إلى النوبا – النوباديين Noba- Noubades الذين خضعوا لسلطان الملك سلكو[٣]. وقد خلف لنا هذا الملك نقشا على جدران معبد كلابشه بلغة يونانية ركيكة ، ويعد هذا النقش أهم مصدر يشير إلى طرد البليميين من منطقة دوديكاخوينوس ، وتم اكتشافه سنة ١٨١٨ م ، ويؤرخه كثيرون ممن قاموا بترجمته ودراسته بالقرن السادس الميلادى ، غير أن بعض الاكتشافات الحديثة جعلت فريقا آخر من العلماء يؤرخونه بمنتصف القرن الخامس[٤]. وقد أطلق هذا الملك على نفسه لقب ملك النوباديين وجميع الأثيوبيين ، مما يؤكد قيام تحالف بين النوبيين والمرويين ، وقد ظهرت آثار هذا التحالف فى مخلفات المجموعة س . كما يتضح من هذا النقش أن سلكو حارب البليميين مرات عديدة إلى أن انتصر عليهم بصفة نهائية وطاردهم من أبريم حتى الشلال الأول ، وقضى على منافسيه من زعماء النوبة ، ويدل النقش أيضا على أن مقر مملكته كان يقع إلى الجنوب من المنطقة التى طارد فيها البليميين[٥].

---

(١) Firth, A.S.N., Report for 1908–1909, vol. 1, p. 35.

(٢) Firth, A.S.N., Report for 1910–1911, P. 29.

(٣) مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ص ١٨

(٤) انظر الصفحة ٤٩

(٥) Amelia B. Edwards, Op. cit.; P. 376; Budge, Ethiopia, Vol. 1, PP. 114 f; Emery, The Royal tombs of Ballana and Qustul, P. 16.
مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ٣٩ ، ملحق رقم ١ ص ٢٤١ – ٢٤٣ .

وربما كان النوباديون الذين ورد ذكرهم فى بردية ليدن – وهى التى تشير إلى نداء أسقف فيله إلى الامبراطور ثيودسيوس الثانى لحماية كنائس أسوان واليفنتين من البليميين والنوباديين – والنوباتيون الذين عقد معهم مكسيمينوس Maximinus صلحا[1] والنوباديون الذين خضعوا لسلكو هم جميعا النوبيين الذين أغاروا على مروى فى القرن الرابع الميلادى ثم اندفعوا شمالا أمام الغزو الاكسومى إلى جهات النوبة الوسطى . وربما عاش هؤلاء مع المرويين ، وأخذوا عنهم بعض حضارتهم التى تتمثل فى حضارة المجموعة س إلى جانب المؤثرات البيزنطية وربما كان هؤلاء المغيرون هم العنصر الزنجى فى هذا التحالف الذى تزعمه سلكو[2].

ولكن ايمرى يرفض أى احتمال لتأثر النوباديين بالحضارة المروية بعد اغارتهم وإقامتهم المؤقته فى اقليم مروى[3]. ويذكر أن النوباديين لم يمتزجوا بالسكان المرويين المتحضرين ؛ إذ لم يكن بينهما شئ مشترك ، ويستشهد على ذلك بنقش الملك الأكسومى عيزانا (حوالى ٣٥٩ م) الذى ورد فيه أن الغزاة النوباديين لمروى كانوا شعبا بدائيا ، ولم يصلوا إلى الدرجة التى يستطيعون معها تقليد أسلافهم فى العمارة والعادات الدينية[4].

وربما كان هؤلاء النوباديون فرعا من قبائل النوبا Nuba الذين انتقلوا من كردفان – وطنهم الأصلى – إلى الشمال قبل بداية العصر المسيحى بقليل ،

---

(١) غزا البليميون مصر في حكم ثيودسيوس الثاني ٤٠٨ – ٤٥٠م ، وامتلكوا الواحة الخارجة ، وسجنوا كثيراً من السكان ، وهزموا الجنود الرومانيين المرابطين هناك ، وبعد ذلك بسنوات قليلة تحرك مكسيمينوس قائد القوات الرومانية في مصر إلى الجنوب وهزم البليميين والنوباتيين وأجبرهم على الدخول في اتفاقية لحفظ السلام لمدة مائة عام ، وسمح لهم بالحج إلى معبد إيزيس في فيلة واستعارة تمثالها .

Budge, Ethiopia, vol. 1. pp. 102 F.

(٢) مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ١٩ .

(٣) Emery, Preliminary report of the work of A.S.N. 1932 – 1934, P. 206.

(٤) Ibid., P. 206; Emery, The Royal Tombs of Ballana and Qustul, P. 23.

واستقروا فى الواحة تاركين الجزء الأكبر من بنى جنسهم يغزو منطقة الجزيرة ، ويقضى على الامبراطورية المروية فى القرن الرابع الميلادى[1].

ولكن دى فيار Monneret De Villard يعتقد أن النوبا هم أصحاب البلاد الأصليون ، أما النوباتيون فهم الذين استعان بهم دقلديانوس ، وأنهم من أصل ليبى ونزحوا من شمال افريقيا تحت ضغط الرومان إلى الصحراء ، واستقر بعضهم فى الواحة الخارجة ، وبعد استدعاء دقلديانوس لهم استطاعوا السيطرة على منطقة النوبة السفلى ، واختلطوا بسكانها، واستطاعوا تأسيس مملكة النوبة التى استقبلت الدعوة المسيحية ، وهم بهذا يمثلون الطبقة الحاكمة فى النوبة ، أما النوبيون الاصليون فقد مثلوا عامة الشعب الذين كشفت عنهم أعمال التنقيب فى مقابر المجموعة س[2].

ويعنى هذا الرأى أن جميع سكان النوبة السفلى كانوا من الزنوج قبل مجئ هذه الطبقة الارستقراطية من ليبيا . الأمر الذى لا يتفق والحقائق التاريخية ونتائج الابحاث الأثرية[3].

أما ميخالوفسكى K. Michalowski الذى أشرف على حفائر البعثة البولندية فى فرس أثناء حملة اليونسكو ، فيرى قيام دولة النوباتيين فى النوبة الشمالية بعد سقوط مملكة مروى ، ويشير إلى أنها امتدت من الشلال الأول شمالا إلى ما وراء الشلال الثانى جنوبا . وكانت نشأة هذه الدولة بعد منافسة شديدة بين قبيلتى البليميين والنوباتيين تحقق للأخيرة بعدها طرد البليميين إلى الصحراء

---

(١) Emery, Nubian Treasure, P. 28; Leclant, J., The Empire of Kush: Napata and Meroe. In "General History of Africa" II, P. 294.

ايمري ، مصر وبلاد النوبة ، ص ٢٤٥ .

(٢) Monneret De Villard, Storia della Nubia Cristiana, pp. 39f.

عن مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ٢٠ ،

Skeat, T.C., A letter from the king of the Blemmyes to the King of the Noubades. JEA 63, P. 161.

(٣) مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ٢١ .

شرق النهر ، وكان تفوقهم هذا بعد سنة ٤٥٣ فقط أى بعد صلح مكسيمينوس ومنحهم هم والبليميين حق نقل تمثال ايزيس من المعبد على جزيرة فيله إلى معبد كلابشة لفترة من الوقت ، ويرجع ميخالوفسكى اتخاذ حكام النوباتيين لجبل عدة مقرا لإقامتهم فى القرن الرابع ، واتخاذهم بخورس (فرس) Pakhoras عاصمة لهم فى القرن الخامس ، ويرد صعوبة تفسير مكتشفات المجموعة س إلى أن بلاط النوباتيين لم ينتج طرازا فنيا مميزا بل كرر الوحدات الزخرفية المروية التقليدية التى استلهمت النماذج الزخرفية المصرية القديمة ، وأدخلت عناصر معينة من الفن الهلينى والرومانى فى الزخرفة بوجه خاص ، وإلى جانب هذا فان الآثار الباقية تميزت بتناقض حاد ، فالطبقات الحاكمة غرست تقاليد الفن المروى والحضارة المروية وتمثلت آثارها فى محتويات الكيمان الشهيرة فى بلانه ، والتى اكتشفها ايمرى وسميت بحضارة بلانه . أما السكان الذين عاشوا فى فقر فقد خلفوا لنا الدفنات المتواضعة التى أطلق عليها ريزنر – أول من اكتشف حضارتهم – مصطلح حضارة المجموعة س(١).

ومن هنا يمكن القول أن حضارة بلاط النوباتيين هى ما نسب إلى البليميين من كيمان بلانه ، وأن حضارة السكان الفقراء هى ما نسب إلى فن وحضارة العصر المروى المتأخر ، أو ما سمى بمصطلح المجموعة س(٢).

ومما يجعلنا نرجح نسبة حضارة المجموعة س إلى النوباديين ، وتفوقهم فى منتصف القرن الخامس الميلادى على قبائل البليميين ذلك الخطاب الذى تم اكتشافه حديثا فى ابريم ، والمرسل من ملك البليميين Phonen إلى ملك النوباديين Abourni(٣)، وهو باللغة اليونانية على لفافة من البردى (حوالى ٣٠

(١) Reisner, G.A., A.S.N., Report for 1907 – 1908, Vol. 1.

(٢) Michalowski, K., Open Problems of Nubian art and culture in thelight of the discoveries at faras. Nubische Kunst, P. 12; id., Faras, Wall. Paintings, PP. 16f; id., The Spreading of christianity in Nubia, PP. 326 – 329.

(٣) Skeat, T.C., op. cit., pl. XXVII and P. 159.

× ٤٧ سم) . وكتب النص بالخط اليونانى اللين ، ويؤرخه .Skeat ومن استعان بهم من علماء اللغة بمنتصف القرن الخامس الميلادى دون تردد . وفى هذا الخطاب يطالب ملك البليميين من ملك النوباديين العمل من اجل السلام ، وعدم الاستخفاف بمبعوثيه ، وبأن يرد إليه اراضيه التى احتلها .

ويهمنا فى هذا الخطاب تلك العبارة التى جاء فيها : « اننى هزمت سلكو ، وأخذت تاليس فى أول الأمر ، والآن غزوتنى أنت ، واخذت تاليس ، واحتللت الجهات التابعة لى »[١]. وإذا سلمنا بأن سلكو هذا هو صاحب النقش الموجود بمعبد كلابشه فاننا ينبغى ان نسلم أيضا بأن حملته هذه التى هزم فيها هى من حملاته الأولى التى قام بها ضد البليميين ، حيث لم يقطع فى نقشه بأنه حقق انتصارا فى حملته الأولى أو الثانية ، بل ذكر « لقد جئت إلى تالميس وتافه ، وحاربت البليميين ثم أعدت عليهم الكرة مرة أخرى ، ونصرنى الله عليهم فى المرة الثالثة ... »[٢].

ومن الواضح أن سلكو فى هذا الخطاب لم يكن رئيسا للنوباديين وجميع الأثيوبيين كما ورد فى نقشه ، ولاشك أنه كان فى ذلك الوقت أى خلال حملته الأولى أحد أولئك الملوك المحليين الخاضعين لملكهم الأكبر Abourni ، ثم كان توليه لهذا المنصب فى وقت تسجيله لنقشه على جدران معبد كلابشة ، وربما تم هذا بعد قبول Abourni لمركز أقل أهمية أو بعد انتصاره النهائى على البليميين إذ يقول« ثم عدت إلى الجزء الأعلى من مملكتى ، ولما تمت لى السيادة عليه ، لم أشا أن أكون فى مؤخرة ملوكه ، بل أصبحت فى مقدمتهم ، أما عن أولئك الذين نازعونى الزعامة فإننى لم أسمح لهم بأن يعيشوا فى بلادهم ، إلا إذا التمسوا منى المغفرة ، لأننى أصبحت أسداً فى الجهات الدنيا من مملكتى ، وظبيا فى الجهات العليا منها[٣].

إن قوة النوباديين التى تتمثل فى هذا الخطاب كما تتمثل فى نقش سلكو تقطع بأن الكلمة الأخيرة فى الصراع كانت لهم ، وإن استمر تواجد البليميين فى

(١) Ibid., p. 163.

(٢) مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ملحق رقم (١) ، ص ٢٤١ – ٢٤٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٢ – ٢٤٣ .

المنطقة الشمالية من ابريم إلى الشلال . كما أن الاشارة الواضحة إلى أن النوباديين هم أصحاب ما يقع جنوب كلابشة فى ذلك الوقت المبكر تعد ردا حاسما على نسبة حضارة المجموعة س إلى البليميين

ويشير هذا الخطاب بوضوح إلى أن كلا من النوباديين والبليميين كانت لهم حياة سياسية منظمة ، يتم فيها التفاوض وطلب السلام ، ومن هنا لا نعجب إذا أشارت بعض المصادر التاريخية إلى قيامهما بالتحالف للوقوف ضد عدو مشترك ، كما أن من الطبيعى مع وجود آلهة مشتركة أن تتشابه بعض عادات الدفن ومستلزماته .

دخول المسيحية بلاد النوبة قبل التبشير الرسمى :

عبد البليميون والنوباديون آلهة مصر القديمة ، واعتادوا زيارة معبد ايزيس فى فيله فى حج سنوى لأخذ تمثال الإلهة إلى بلدهم ، وكان ذلك فى الوقت الذى أحاطت فيه المسيحية بهم من الشمال والجنوب ، ومثلت بالنسبة لهم تهديدا قاوموه بشدة ، إلا أنها برغم ذلك استطاعت التسلل إليهم ببطء . ولم تدخل المسيحية بلاد النوبة عن طريق الحبشة ؛ إذ لم تترك حملة عيزانا ملك أكسوم على مملكة مروى أثرا للمسيحية بها[1].

وتجمع الروايات التاريخية على أن دخول المسيحية بلاد النوبة قد تم عن طريق مصر ، وتشير إلى أن دخولها كان مبكرا ، أى يسبق بعثات التبشير

---

(١) Budge, Ethiopia, Vol. 1, P. 113.

وكانت المسيحية قد دخلت أكسوم على يد فرومنتيوس الصوري المصري ، وهو أحد التجار الذين أوفدهم قسطنطين الأول ٣٢٣ - ٣٣٧م لتوثيق العلاقات التجارية مع دولة أكسوم ، وعقد معاهدة تجارية مع ملكها عيزانا ، وقد استطاع هذا التاجر في سنة ٣٤٠م أن يجعل عيزانا يعتنق المسيحية . وكان حرص الرومان على تدعيم علاقاتهم بهذه الدولة ناتجاً عن تحول تجارة الهند والصين وشرق افريقيا من أيديهم في أواخر القرن الثاني الميلادي إلى يد الفرس والأحباش والحميريين بعد الضعف الذي أصاب دولة مروى ، ونتيجة لهجمات البليميين على منطقة النوبة السفلى وجنوبي مصر .

انظر مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ٣٣ - ٣٤ .

Leclant, J., The empire of Kush: Napata and Meroe, P. 293.

الرسمية التى أرسلت فى منتصف القرن السادس الميلادى ، ومن ذلك ما يروى عن دخولها بلاد النوبة على يد المبشرين المصريين فى القرنين الأول والثانى للميلاد[1]

وكانت بلاد النوبة من بين البلدان التى لجأ إليها أقباط مصر فرارا من اضطهاد الاباطرة الرومان منذ عصر دقلديانوس[2]. كذلك كان الاختلاف المذهبى بين كنيسة الاسكندرية والكنيسة البيزنطية سببا فى اضطهاد أقباط مصر ، الذين لم يجدوا مفرا سوى الهرب إلى بلاد النوبة وإلى الحدود الجنوبية لمصر والواحة الخارجة ، والمنطقتان الأخيرتان من المناطق التى هاجمها النوبيون كثيرا ، وكانت لهم معها مبادلات تجارية ، أتاحت لهم معرفة الكثير عن العقيدة المسيحية[3]. ففى سنة ٤٢٩ م هاجم البليميون المسيحيين المقيمين فى الواحة الخارجة وكان من بين اسراهم نسطورس أسقف القسطنطينية سنة ٤٢٨ م ، والذى كان منفيا بالواحة ، ومات فى مصر سنة ٤٣٠ م إلا أن قبيلة صحراوية هاجمتهم ، وأجبرتهم على اطلاق سراح الأسرى[4].

---

(١) Somers clarke, christian Antiquities in the Nile Valley p. 8;

مرقص سميكة ، دليل المتحف القبطي وأهم الكنائس والأديرة الأثرية ، جـ ٢ ، ص ١٤٠ ويروى أن أول من اعتنق المسيحية في هذه المنطقة هو وزير كنداكة ملكة الأثيوبيين في سنة ٣٧م . وملكة الأثيوبيين هذه ليست إلا إحدى ملكات مروى ، لأن هذا اللقب أطلق على سبع ملكات حكمن هذه الدولة .

انظر أعمال الرسل ، الاصحاح الثامن : ٢٦ – ٣٩ ،

Vantini, G., Christianity in Medieval Nubia, p. 9.

(٢) Somers Clarke, op. cit., P. 8.

(٣) Budge, Ethiopia., vol. 1, P; 113; id., Text relating to Saint Mena of Egypt, P. 2; Dunbar, J.H., "Betwixt Egypt and Nubia" A. E., Dec., Part IV, P. 109; Gadallah, F.F., The Egyptian contribution to Nubian christianity, SNR XL, P. 39;

زاهر رياض ، اتجاهات مصر الأفريقية في العصور الوسطى ، ص ٦٦ ؛ زاهر رياض ، مصر وأفريقيا ، ص ٥٣ .

(٤) Kirwan, L.P., LAAA XXIV, P. 92; Emery, Nubian Treasure P. 29.

وتشير بعض قصص الرهبان التى يرجح أنها ترجع إلى القرن الرابع أو الخامس الميلادى لما تعرضت له بعض الأديرة المصرية من إغارة النوبيين والبليميين عليها ، ومحاولة الرهبان كسب ود المغيرين وتنصيرهم[1]. وقد أدت هذه الهجمات البليمية النوبادية على أديرة طيبة فى منتصف القرن الخامس إلى استغاثة أبيون Appion أسقف فيلة بالامبراطور ثيودسيوس الثانى ٤٠٨ – ٤٥٠ م ، طالبا المساعدة العسكرية لحماية أسقفيته[2]. وبعد سنوات قليلة اصدر مرقيانوس Marcianus (٤٥٠ – ٤٥٧ م) أوامره باخضاع هذا التحالف ، فقام مكسيمينوس بمحاربتهم ، وانتهى الأمر بعقد هدنة بينهم وبين الرومان لمدة مائة عام – كما أشرت من قبل وكان من شروط هذه المعاهدة رد البليميين والنوباديين للأسرى الرومان ، وأن يقوموا بارسال عدد من الرهائن ، وفى مقابل ذلك يسمح لهم بالحج إلى فيله ، وحمل تمثال ايزيس إلى بلادهم[3].

وبعد موت مكسيمينوس عاد البليميون إلى الإغارة على منطقة طيبة ، غير أن الرومان استطاعوا هزيمتهم ، فعادوا إلى احترام المعاهدة التى عقدوها من قبل ، ومع قرب انتهاء مدة الهدنة خشى الرومان من تجمع البليميين والنوباتيين فى فيله ، وبخاصة أن النزاع قد بدأ يدب بين القبيلتين ، وعمل الرومان على استمالة النوباتيين لطرد البليميين من وادى النيل[4]، وكان الوسيط فى هذا التقارب هو ثيودور Theodore أسقف فيله وأسوان وتولى هذه الأسقفيه سنة ٥٢٦ م ، إلى أن توفى سنة ٥٨١ م[5]، فقد توثقت صلته بزعماء النوبيين ،

---

(١) Crum, B.W.E., A Nubian Prince in an Egyptian Monastery, in "Studies Presented to Griffith, F. Ll., pp. 137 – 148; Kirwan, LAAA XXIV, pp. 95f.

مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ٥٠ – ٥١ ، ملحق رقم (٢) ص ٢٤٤ .

(٢) Emery, Nubian Treasure, P. 30;

ايمري ، مصر وبلاد النوبة ، ص ٢٤٦ .

(٣) Budge, Ethiopia, Vol. 1, P. 102.

(٤) مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ٣٨ .

(٥) De Villard, Storia della Nubia cristiana, P. 56.

عن مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ٥٢ – ٥٣ ؛ الشاطر بصيلي عبد الجليل ، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط ، ص ٧٧ – ٧٨ .

وقام بزيارات عديدة لبلادهم تمكن خلالها من التهميد لدخول النوبيين فى الدين المسيحى ، وشجع هذا التقارب جسنتيان على إغلاق معبد فيله ، وإرسال تماثيل الآلهة إلى القسطنطينية فى حوالى عام ٥٤٣ م ، وحول المعبد إلى كنيسة مسيحية[١].

وتبرز محاولات البيزنطيين لترغيب البليميين فى المسيحية فى بعض الوثائق المدونة باللغة اليونانية على الرق ، وتؤرخ بحوالى القرن السادس الميلادى وعثر عليها فى سنة ١٨٨٧ م فى قرية الجبلين على بعد ٢٥ ميلا جنوبى الاقصر[٢].

وتتمثل هذه المحاولات فى منح البليميين اقطاعا بمنطقة طيبة ، حيث نرى فى إحدى الوثائق أن أحد ملوك البليميين ، – واسمه شاراشن – منح أولاده الثلاثة حكم جزيرة تنارى الواقعة جنوب قرية الجبلين ، ومنحهم حق جباية الضرائب بها .

ويلاحظ أن اسمى الشاهدين البليميين على هذه الوثيقة يحملان علامة الصليب وفى وثيقة ثانية بصدر ملك بليمى آخر اسمه باكيتمن قرارا بتعيين القسيس Poae حاكما لجزيرة تنارى ، وقد اقترن اسم الملك فى هذه الوثيقة

= ووردت في الوثائق أسماء أربعة من الأساقفة الأوائل بهذه الأسقفية وهم مقدونيوس Makedonios (بين سنة ٣٢٦ و ٣٦٢ تقريباً) ، ومرقس Markos (حوالي سنة ٣٦٢م) ، واسحق Isaak ، وأخيراً بسيليوس Pseleusios (حوالي ٣٨٠ – ٣٨٤م) .
انظر Jakobielski, S., Bishopric, p. 19.

(١) اختلف العلماء في تحديد السنة التي أغلق فيها هذا المعبد ، حتى أن جريفيث يتساءل عما إذا كان ذلك سابقاً لمجيء بعثات التبشير أم بعد مجيئها .
Griffith, LAAA XIII, P. 51.
ويضع بودج سنة ٥٦٣م تاريخاً لذلك .
Budge, Text relating to Saint Mena, P. 3.
ويحدد كيروان الفترة بين سنة ٥٣٦ و ٥٤٣م تاريخاً لهذا العمل
Kirwan, The international Position of Sudan in Roman and Medieval times. SNR XL, P. 31.

(٢) Emery, The royal tombs of Ballana and Qustul, Vol. 1, PP. 11F.

بعلامة الصليب ، مما يرجح اعتناق أولئك البليميين فى هذه المنطقة للمسيحية[١].

وتشير بعض الوثائق أيضا إلى تحريض بعض البليميين فى طيبة لبعض الأفراد البليميين على الإرتداد عن المسيحية ، ومحاولة إعادة فتح معبد فيلة من جديد ، وشكوى هؤلاء الافراد للحاكم البيزنطى فى طيبة[٢].

ويعتبر البعض أن سلكو هو أول ملك مسيحى فى بلاد النوبة السفلى ، وذلك اعتمادا على ما ورد فى نقشه من أن الله قد حقق له النصر ، وإشارته إلى أن أعداءه قد أقسموا له بأوثانهم أن يحفظوا بنود السلام[٣]. ووردت نفس الإشارة إلى إله واحد فى خطاب ملك البليميين Phonen إلى Abourni ملك النوباديين ، غير أن ذلك لا يعنى أن ملك البليميين كان مسيحيا ، إذ ورد ذكر الآلهة كثيرا فى الخطاب[٤]، وبالمثل فإن ما ورد على نقش سلكو لا يعد دليلا قاطعا على اعتناق سلكو للمسيحية ؛ فقد صور سلكو على النقش نفسه مرتديا زيا فرعونيا ، وتزينه صور الآلهة[٥]. ويرجح دى فيار أن هذا النقش قد تم بيد كاتب قبطى فى البلاط النوبى[٦]، إلا أن Skeat يرفض هذا الرأى لأن الكتابة القبطية التى اتخذها دى فيار دليلا على رأيه لها ما يماثلها فى الكتابة اليونانية[٧].

---

(١) مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ٥٣ – ٥٤ ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٠ – ٢٥٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(٣) Amelia B. Edwards, op.cit., P. 221; Budge, Ethiopia. VOL.1 P. 115; Macmichael, H., The Anglo Egyptian Sudan, pp. 26 F; Emery, The royal tombs of Ballana and Qustul, p. 16.

(٤) Skeat, T.C., Op.cit., p. 162.

(٥) Kirwan, L.P., LAAA XXIV, P. 85.

(٦) De villard, Storia, P. 56.

عن . Jakobielski, S., Bishopric, P. 22.

(٧) Skeat, T.C., op.cit., P. 170.

الدخول المبكر للمسيحية فى ضوء الشواهد الأثرية :

تشير كثير من الشواهد الأثرية إلى الأثر المبكر للمسيحية فى بلاد النوبة قبل مجئ بعثات التبشير الرسمية فى منتصف القرن السادس الميلادى . وبعض هذه المكتشفات لا تدل دلالة قاطعة على أن اصحابها قد اعتنقوا المسيحية بل تظهر أن الرموز المسيحية عليها كانت مألوفة لديهم ، كما تدل على تواجد المسيحيين بالمنطقة ، فقد عثر على كثير من التحف فى مقابر الكيمان ببلانه وقسطل زينت بزخارف مسيحية وشكلت بحسب الأنماط الشائعة فى القرنين الخامس والسادس الميلاديين فى بلدان الشرق المسيحى ، كما وضع الصليب على كثير منها[1]. ولاشك أن كثيرا من هذه التحف قد تم استيراده أو أهدى إلى زعماء النوبة فى ذلك الوقت ، وربما تم الحصول على بعضها عن طريق النهب خلال الهجمات التى قاموا بها .

ومن الزخارف المسيحية التى زينت بها بعض هذه التحف : تفريعات العنب المضفورة[2]، وأشكال آدمية تشبه فى زيها وأوضاعها ما يوجد على التحف الفضية المنسوبة إلى سوريا وأنطاكيه ، كما أنها تذكرنا بالتصاوير الجدارية فى باويط وسقارة[3]. وأرجح الاحتمالات فيما يتعلق بهذا التأثير السورى ان مثل هذه التحف قد صنعت بيد صانع سورى فى مصر ومن المعروف تاريخيا ان السوريين والأقباط دافعوا معا عن المذهب المونوفيزيتى بعد مجمع خلقيدونية ، وأقام كثير من السوريين فى مصر فى ذلك الوقت ، بل إن بعض الرهبان السريان تسللوا مع بداية القرن الخامس الميلادى جنوبا إلى الجزء الشمالى من بلاد النوبة[4]. ومن المعروف أيضا أن مدرسة الاسكندرية الهلينستية قد تأثرت بالفن السورى فى النصف الثانى من القرن الرابع الميلادى ، ويظهر هذا التأثير بعد ذلك فى المنحوتات والتصاوير الجدارية القبطية . وتشبه

(١) Emery, Nubian Treasure, Pls. 37 a – b, 38 b, 39 b, 41 a and 45 a.

(٢) Kirwan, L.P., "The objects of Hellinistic and East Christian design" In Emery, The royal tombs, vol. 1, P. 167.

(٣) Ibid.; pp. 172 f.

(٤) Ibid.; P. 180.

بعض المباخر والمسارح وبعض الصناديق الخشبية المطعمة بالعاج التى عثر عليها فى مقابر الكيمان التحف القبطية المعاصرة لها فى موضوعاتها الزخرفية وأشكالها العامة[١]، وهذا ما تظهره ايضا الأوانى الفخارية التى عثر عليها[٢].

كما يبدو الأثر المسيحى السابق لمجئ البعثات التبشرية فيما كشف عنه من مسارج وأوان فخارية مسيحية زخرفت بعلامة الصليب فى مستوطنات المجموعة س على جزيرة مينارتى[٣].

وتشير الإكتشافات الحديثة خلال حملة اليونسكو إلى أن كثيرا من المقابر المتأخرةمن عصر المجموعة س قد اختلطت بمقابر المسيحيين بدرجة لم يكن من اليسير معها التمييز بينهما فى حالات كثيرة ، سواء فى شكل البناء ، أو موقع الاجساد ، أو حتى فى مستلزمات الدفن[٤]. ويشير هذا التحول إلى المسيحية دون تغيير فى عادات الدفن السائدة إلى فترة مبكرة ، لم تستقر الأمور فيها للمسيحيين الجدد .

وتثبت حفائر قصر ابريم بناء احدى الكنائس فى أواخر عصر المجموعة س فى جزء من معبد بناه طهارقا فرعون دولة كوش فى القرن السابع قبل الميلاد ؛ ولكن الحطام الذى ملىء به الفراغ خلف الشرقية وقت انشائها من عصر المجموعة س ولم تختلط به أى قطع من الفخار المسيحى . وليس من الضرورى بالطبع أن تكون صناعة الفخار المسيحى قد تمت فى نفس الوقت الذى اعتنق فيه النوبيون المسيحية ، ورغم هذا فإن الكنيسة تعد واحدة من أقدم الكنائس فى النوبة إن لم تكن أقدمها جميعا ، كما يذكر وليام آدامز الذى يرجح أن بناءها

---

(١) Ibid.; pp. 163 – 178.

(٢) Kirwan, L.P., "The Pottery" In Emery, The royal tombs, vol. 1, PP. 386-399.

(٣) Adams, W.Y., Sudan Antiquities service excavations at Meinarti 1963 – 4, Kush XIII, P. 155.

(٤) Save – Söderberg, T., Christian Nubia- The Excavations Carried out by the Scandinavian Expedition to Sudanese Nubia. Nubische Kunst, p. 230.

قد تم فى النصف الثانى من القرن الخامس الميلادى[1]. وتشهد على ذلك أيضا ما كشفت عنه الحفائر فى الممر المؤدى إلى جنوب الكنيسة ، حيث تم أقدم رصف لأرضية الكنيسة بخزف المجموعة س فقط[2].

كذلك عثر فى قصر أبريم على أجزاء من البردى والبارشمنت عليها نصوص قبطية تؤرخ بالفترة الواقعة بين القرن الخامس الميلادى على الأقل والقرن العاشر ، وربما الحادى عشر الميلاديين[3].

وكشفت الحفائر فى أبريم أيضا عن أربع لفافات من البردى تمثل أربعة خطابات ربطت معا فى حزمة واحدة ، وأول هذه الخطابات وأكبرها خطاب ملك البليميين إلى ملك النوباديين الذى أشرت إليه من قبل ، أما الخطابات الثلاثة الأخرى فقد كتبت باللغة القبطية ، وكانت موجهة من أفراد مختلفين إلى شخص واحد هو Tantani ، الذى وصف فى أحد هذه الخطابات بأنه زعيم Phylarch و« سيد أولئك الذين ينتمون إلى النوبة » ، ويرجح بلملى Plumley أنه أحد الموظفين الذين عينهم سلكو قوادا للمدن التى فتحها بعد نصره النهائى على البليميين . ويهمنا هنا أن محررى هذه الخطابات كانوا يدينون بالمسيحية ، وربما كان هذا دليلا على اعتناق Tantani نفسه للمسيحية ، وإذا كان هذا الأمر صحيحا ، ومع توليه السلطة فى قصر ابريم ، فان من المحتمل وجود مكان للعبادة المسيحية فى الوقت الذى دونت فيه هذه الخطابات ، أى فى منتصف القرن الخامس الميلادى ، وهذا التاريخ مبنى على الشبه الكبير بين الكتابة فى أحد هذه الخطابات والخط اليونانى فى القرن الخامس[4].

وفى فرس عثرت البعثة البولندية على بقايا كنيسة بنيت بالطوب اللبن تحت انقاض ما سمى بقصر الحكام النوباديين والذى تؤرخه البعثة بحوالى منتصف

(١) Adams, W. Y., "X-Group remains" In Plumley, J.M., Qasr Ibrim, 1976.

(٢) Plumley, J.M., "New evidence on christian Nubia in the light of recent excavations" In "Nubia Christiana, Tom 1", P. 17.

(٣) Plumley, J.M., JEA 63, P. 44.

(٤) Plumely, J.M., JEA 63, P. 45; id, New Evidence on christian Nubia, pp. 16f.

القرن الخامس الميلادى ، مما يعنى أن هذه الكنيسة سابقة على هذا التاريخ . وكشفت أعمال التنقيب فى هذه الكنيسة عن قيام النوبيين بتحطيمها ووضع الحطام والرمال فيها وتسوية سطحها لانشاء القصر المشار إليه[١]. ويشير الفخار المكتشف بين الحطام إلى احتمال بناء هذه الكنيسة فى نهاية القرن الرابع الميلادى[٢]، مما قد يعنى أن جماعة مسيحية أقامت فى فرس فى ذلك الوقت المبكر ، وابتنت لها كنيسة قبل سنة ٥٠٠ م ، ثم حدث أن ضعفت الجماعة أو أجبرت على إخلاء موقعها لبناء قصر لأحد الحكام النوباديين . وربما كان ضعف هذه الجماعة المسيحية راجعا إلى نشاط الجماعات الوثنية من البليميين والنوباديين فى القرن الخامس فى مقاومة التسرب المسيحى إلى النوبة[٣].

وبعد فإن هذا الوجود المبكر للمسيحية فى بلاد النوبة – رغم قيامه على كثير من الافتراض والترجيح – ربما يدعو إلى الإعتقاد بأن البعثات التبشرية التى أتت بعد ذلك لم تكن سوى محاولة للاطمئنان على ولاء النوبيين لأى من الكنيستين الملكانية أو المونوفيزيتية ، الأمر الذى يدعمه عدم وجود معارضة قوية فى ذلك الوقت لمجيء هذه البعثات ، وما ورد كذلك فى خطاب سفير الإمبراطور البيزنطى إلى ملك النوبة من أن ملك الرومان يبلغه بأنه « فى حالة اعتناقكم للمسيحية يمكنكم الارتباط بالكنيسة ومن يحكمونها ، ولا تكونوا منقادين ضالين وراء أولئك الذين طردوا منها » أى اتباع المذهب المونوفيزيتى[٤].

---

(١) Michalowski, K., Polish Excavations at Faras, fourth season 1963 – 64. Kush XIII, pp. 180 – 183.

(٢) Jakobielski, S., Bishopric, P. 20.

(٣) ايمري ، مصر وبلاد النوبة ، ص ٢٤٦ ؛ Michalowski, K., Open problems of Nubian art and culture, p.12; id., Faras, wall-P aintings, P. 18; id., The spreading of christianity in Nubia, p. 32 9.

(٤) Plumley, J.M., New evidence on Chirstian Nubia, p. 17.

البعثات التبشرية المسيحية :

توافرت لدى الدولة البيزنطية أسباب عديدة دفعتها إلى إرسال بعثات تبشيرية إلى بلاد النوبة ، ورغم أن الوصف الذى دون عن هذه البعثات يصور الأمر باعتباره سباقا بين الملكانيين والمونوفيزيتيين لإحراز النجاح فى هذه البلاد ، فإن جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥ م) كانت لديه بعض الدوافع الدينية والسياسية التى جعلته حريصا على نشر المسيحية فى هذه الأنحاء من امبراطوريته ؛ إذ اعتبر أن واجبه المقدس يحتم عليه القضاء على الوثنية فى أطراف إمبراطوريته ، والعمل على نشر المسيحية بها ، ومن هنا كان إغلاقه للمعبد الوثنى فى فيله مثلما أغلق المدرسة الفلسفية فى أثينا ، ولم يبق أمامه إلا أن يجتذب البليميين والنوبيين إلى المسيحية[١]. ويحقق هذا له هدفا آخر وهو إحكام سيطرته على وادى النيل الأوسط ، وتأمين حدود إمبراطوريته ، ولعل فى حرص جستنيان على أن تكون البلاد ملكانية المذهب ما يوضح هذا الأمر .

ولابد أن نجاح بلاد النوبة فى القيام بتجارة نشيطة عبر طرق القوافل مع الجنوب والغرب ، ومع مصر عبر النيل ، قد استدعى اهتمام بيزنطة ، وكانت بيزنطة قد وعدت فى سنة ٥٢٤ م بأن ترسل إلى أكسوم جنودا بليميين ونوباديين لدعم غزوة إلى بلاد اليمن موجهة إلى الحميريين وحلفائهم الفرس ، فبادر جستنيان بعقد معاهدة عسكرية وتجارية مع أكسوم ، وكان من الضرورى أن تتخذ بيزنظة من النوبة نصيرا فى تلك الأجزاء من افريقيا لدعم هذه الحملة ، إلى جانب تحقيق سيطرتها على البحر الأحمر كطريق تجارى إلى الهند[٢].

وكانت بلاد النوبة فى الوقت الذى كتب فيه يوحنا الافسسى وصفة تتألف من ثلاث ممالك مستقلة وهى : نوباديا Nobadia أو نوباتيا Nobatia ، وكانت تمتد من الشلال الأول إلى قرب الشلال الثالث ، وعاصمتها فرس ، ومقره (ماكوريا Makuria) وامتدت من قرب الشلال الثالث إلى قرب كبوشية الحالية ، وعاصمتها دنقلة ، ثم علوة (ألوديا Alodia) وامتدت من قرب كبوشية إلى

(١) مصطفى مسبعد ، البجة والعرب فى العصور الوسطى ، ص ٢٠ .

(٢) Jakobielski, S., Bishiopric, pp. 22 f.

جنوب الخرطوم الحالية ، وعاصمتها سوبا . أما البليميون فكانوا يحتلون الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر[1].

وقد عالج كثير من الباحثين موضوع التبشير بالمسيحية فى بلاد النوبة باستفاضةفى ضوء المادة التى خلفها يوحنا الافسسى ويوحنا البكلرى[2].

ومجمل أخبار بعثات التبشير أن رجال الكنيسة المصرية استعانوا بالامبراطورة ثيودورا لمعاونتهم فى القيام بالتبشير بين أهل النوبة ، وحدث أن تحمست الامبراطورة لذلك ، وأخبرت جستنيان برغبتها فى إرسال جوليان – وهو أحد رجال الكنيسة المصرية – للقيام بهذه المهمة ، ولكن جستنيان عارض ذلك ، وعزم على إرسال سفارة خاصة ملكانية المذهب ، تحمل الهدايا لملك النوبادين ، وأوامر لحاكم طيبة البيزنطى بالعمل على تيسير مهمة سفارته وسارعت ثيودورا بارسال بعثتها ، وعلى رأسها جوليان ، وحررت رسالة إلى حاكم طيبة تأمره فيها باعاقة سفارة الامبراطور حتى تصل بعثتها إلى وجهتها ، وهددته إن لم ينفذ ذلك بعقاب شديد ، وسارت بعثة ثيودورا ، وفى إثرها بعثة جستنيان ، بعد أن اعاقها حاكم طيبة لفترة إلى أطراف النوبة فى حوالى عام ٥٤٣ م ، واصطحب جوليان لمعاونته ثيودور أسقف فيله ، ووصلت البعثة بخورس (فرس) عاصمة مملكة نوباديا فى حماية رسل ملك النوبادين ، ولقيت استقبالا حسنا ، وبعد أن أعلن الملك وامراؤه إعتناقهم للمسيحية ، حذرهم جوليان من الملكانيين ، وشرح لهم ما يتعلق بالنزاع القائم بين المذهبين . وعندما وصلت بعثة الامبراطور استقبلت بفتور وإن قبلت هداياها ، وظل جوليان فى نوباديا حوالى سنتين يعمد فيهما أهلها ، وعاد إلى القسطنطينية بعد أن عهد إلى ثيودور باكمال مهمته ، وظل الأخير قائما بهذا العمل حتى عاد إلى فيله فى حوالى سنة ٥٥١ م . أما جوليان فقد استقبلته

---

(١) Kirwan, L.P. JEA XXI, pp. 57 f; id., SNR, vol. XX, part II, P. 290.

(٢) Budge, Text relating to saint Mena, p. 3; id., Ethiopia, vol. 1, P. 116; Kirwan, L.P., JEAXX, P. 20 2; id., SNR, XX, Part II, P. 289; MonneretDe Villard, Storia; Gadallah,F.F., SNR, XL, P. 39;
ومصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ٤٣ وما بعدها ؛ شوقي الجمل ، تاريخ سودان وادي النيل ، ج ١ ، ص ٢٠٦ وما بعدها ؛ زاهر رياض ، مصر وافريقيا ، ص ٥٥ وما بعدها .

ثيودورا قبل وفاتها سنة ٥٤٨ م ، كما عينت لونجينوس Longinus خلفا له ، وكان مرافقا مثل جوليان لبطريرك الاسكندرية المنفى فى القسطنطينية فى ذلك الوقت ، وشغل لونجينوس بذلك منصب أسقف نوباديا بين سنتى ٥٦٩ و٥٧٤ م[١]. وبرغم العراقيل التى وضعها الملكانيون فى طريقه حتى لا يخرج من القسطنطينية فقد تمكن من الإفلات والوصول إلى نوباديا ليقوم بمهمته لمدة ست سنوات ، علمهم خلالها أصول عقيدتهم ، وبنى لهم كنيسة . ثم دعى لونجينوس فى سنة ٥٧٥ م للمشاركة فى انتخاب بطريرك الاسكندرية ، وعاد إلى النوبة فى سنة ٥٧٩ م ، وبعد أن أرسل إليه ملك نوباديا يطلب منه العودة لتلبية رغبة ملك علوة فى اعتناق المسيحية ، وفى نوباديا وجد لونجينوس رسالة ثانية من ملك علوة يدعوه فيها للذهاب إليه ، ولم تفلح محاولات الملكانيين بمقره فى إعاقة لونجينوس عن الوصول إلى علوة ، أو فى إقناع ملك علوة بهرطقته ، ومن الواضح أن المقوريين والنوباديين كانوا فى ذلك الوقت اعداء وربما كان اعتناق المقوريين للملكانية هو السبب فى ذلك العداء الذى نشب بتشجيع من أساقفتهم[٢] . ويذكر يوحنا الأفسسى أن المقوريين شرعوا فى القبض على لونجينوس الأسقف المونوفيزيتى للنوباديين عندما كان فى طريقه لتعميد ملك علوة ، وهذا ما يتضمنه خطاب من ملك النوباديين إلى ثيودور ، يذكر فيه أنه بسبب ما يكيده ملك المقوريين أرسل لونجينوس إلى ملك البليميين كى يرشده إلى طريق لا يصل إليها المقوريون ، ولكن المقوريين – كما يقول ملك النوباديين بناء على ما كتبه له لونجينوس – سمعوا بهذا ، وبعثوا بمن يبحث عنه فى كل الطرق والجبال والسهول حتى البحر الأحمر[٣] ، غير أنه نجح فى الوصول إلى علوه ، وقام بتعميد الملك وأسرته .

ومن الواضح كما ذكرت من قبل أن يوحنا الأفسسى قد غلبه الحماس لمذهبه المونوفيزيتى ، مما جعله يبالغ فيما أحرزه اتباع هذا المذهب من نجاح ويغفل

---

(١) Jakobielski, Bishopric, p.24.

(٢) Kirwan, L.P., JEA XXI, PP.57 f.

(٣) Ibid., P.57.

ما قامت بعثة الملكانيين ، ولا يشير إلى تنصير مقرة ، بيد أن هناك مؤرخا بيزنطيا آخر ، كان معاصرا ليوحنا الأفسسي يدعى يوحنا البكلرى ، ذكر أن أهل مقرة وقبيلة الجرامنتيين « القرعان »[١] التابعة لهم اعتنقوا المسيحية فى سنة ٥٦٩ م وربما تم هذا على يد الاسقفين الذين أرسلهما بطريرك الاسكندرية الملكانى إلى ملك علوة للطعن فى لونجينوس ، وقد يعنى هذا أيضا أن بعثة جستنيان أحرزت بعض النجاح فى مقره .

ومن وصف يوحنا الأفسسي لرحلة لونجينوس إلى علوة ، واتخاذه مسالك أخرى للاختفاء عن أعين من يبحثون عنه من أتباع مقره ، يتأكد ما سبق أن ذكرت من أن البليميين كانوا يحتلون الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر[٢]، ويتضح كذلك أن بعض جماعات منهم فى الأجزاء الشمالية كانت متعاطفة مع المسيحيين ، أو انهم اعتنقوها بالفعل على يد لونجينوس ، عند مروره ببلادهم فى طريقه إلى علوه .

ورغم الشواهد الدالة على وجود بقايا للوثنية فى النوبة لفترة من الزمن بعد عملية التبشير ، فان من الملاحظ أن المسيحية قد انتشرت انتشارا سريعا وواسعا ، وربما كان ذلك ناتجا عن اتباع أهل النوبة لدين ملوكهم دون الدخول فى مناقشات لاهوتية ، أو إلى أن المسيحية لم تكن جديدة عليهم . وتدل بعض الشواهد الأثرية على هذا التحول السريع ، ومنها تحويل أغلب المعابد المصرية القديمة فى النوبة إلى كنائس كوسيلة تتميز بقلة التكلفة ، كما أن لها مغزاها الدينى كهجوم على الوثنية .

ومن هذه المعابد التى حولت بعض أجزائها إلى كنائس معبد ايزيس بفيله ، وفيه بنى ثيودور أسقف فيله فى القرن السادس الميلادى مزارا كرسه للقديس

اسطفانوس St. Stephen . وكانت بفيله أيضا بقايا كنائس مسيحية أخرى ، وبأبدان اعمدة بعض معابدها صلبان شاهدها الرحالة ، وأفاضوا فى وصفها[٣].

(١) Kirwan, L.P., JEA XX, P.201.

(٢) Kirwan, L.P., op.cit., P.57.

(٣) Amelia B. Edwards, op.cit., PP.208, 216, 218-223; Fairholt, F.W.,

كما حول معبد دندور الذى كان يقع على بعد ٧٨ كم جنوبى اسوان إلى كنيسة ، نقش على أحد جدرانها نص قبطى ورد به أنه بأمر الملك اربانم Eirpanome ويوسف نائب الملك فى تالميس (كلابشة) ، وضع ابراهام القسيس الصليب الذى سلمه اياه ثيودور اسقف فيله فى اليوم الذى وضع فيه اساس هذه الكنيسة وهو اليوم السابع والعشرين من طوبة من السنة السابعة (٢٢ يناير سنة ٥٥٩ م أو ٥٧٤ م) بحضور « شاى Shai » الخصى وبافنوتى مندوب الملك وابيفانس حامل اختام الملك وماركوس البريدى[١]، وقد ورد اسم يوسف الملك فى كلابشه فى نقش آخر باخمندى ، ولكن مع اسم ملك نوبى آخر هو Tokiltoeton ويؤرخ هذا النص باعتباره من النصف الثانى من القرن السادس ، أما تاريخ نقش دندور فمن المرجح أنه سنة ٥٥٩ م ؛ إذ لا توجد إشارة إلى لونجينوس الذى أتى بعد هذا التاريخ[٢].

وحول المعبد الجنوبى فى تافه – والذى كان يقع بالقرب من قرطاسى وفكت مصلحة الآثار أحجاره فى سنة ١٩٦٠ – إلى كنيسة ، ولم يكن هذا المعبد هو الوحيد فى تافه ؛ إذ كان هناك معبد آخر حتى سنة ١٨٨٠ م ، غير أن أهل المنطقة نقلوا أحجاره لبناء منازلهم[٣].

كذلك حول معبد بيت الوالى إلى كنيسة ، وكان هذا المعبد يقع على مقربة من معبد كلابشه ، وحول المعبد الأخير نفسه إلى كنيسة ، وكان يبعد عن سد أسوان بحوالى ٥٧ كم ، وعلى جدران هذه الكنيسة مثلت تصاوير ورد عنها أقدم وصف فيما سجله أبو المكارم ، كما سجل على جدران هذا المعبد نقش سلكو وبعض النصوص المسيحية[٤].

---

op.cit., PP.403-405; Weigall, A., op.cit., Pp.35, 39, 43-44, 49-50, = 54; Budge, Ethiopia, vol.1, p.117.

(١) مصطفى مسعد ، الاسلام والنوبة ، ملحق رقم ٤ ص ٢٥٣ – ٢٥٤ .

(٢) Jakobielski, S., Bishopric, PP.24 f.

(٣) Zbynek Zàba, Fouilles en Nubie II, P.211.

(٤) ابو المكارم جرجس بن مسعود ، كنائس وأديرة ، ص ١٢٥ ؛ بوركهارت ، المرجع نفسه ، ١٠٢ .

واستخدم معبد رمسيس المنقور فى الصخر فى جرف حسين – وكان يقع على مسافة ٩٠ كم جنوبى أسوان – كنيسة(١). والحال نفسها فى معبد الدكه ، الذى كان يقع على بعد ١٠٧ كم جنوبى أسوان .

ومن أشهر المعابد التى حولت إلى كنائس زينت بالتصاوير : معبد وادى السبوعه الذى كان يقع على بعد ١٥٨ كم جنوبى سد أسوان ، ومعبد عمدا ، وكان يقع على بعد ١٨٥ كم جنوبى السد نفسه ، ومعبد أبو عوده وكان يقع على الشاطئ الشرقى أمام معبد أبو سمبل ، كما كانت هناك محاولة لتحويل بعض أجزاء معبد « أبو سمبل » الكبير إلى كنيسة ، غير أن المسيحيين – فيما يبدو – لم يكملوا عملهم ، وتشير إلى هذا آثار ملاط يغطى الأجزاء السفلى من جدران المدخل والقاعة والتماثيل الاوزيرية لرمسيس الثانى ، وهذا الملاط من النوع الذى استخدمه المسيحيون فى هذه المنطقة(٢) وفى النوبة السودانية شيدت كذلك كنيسة داخل الفناء الأمامى لمعبد رمسيس فى عكشه(٣).

---

(١) Weigall, A., op.cit., P.81.

(٢) Iskander, Z., Actes du II Symposium, PP.149 f

(٣) Vercoutter, J., Les trouvailles chrétiennes Francais à Aksha, Mirgissa et sai, Nubische Kunst, pp.155 f

الفصـــل الثالث
النظم والحضارة فى ممالك النوبة المسيحية فى ضوء الاكتشافات الأثرية الحديثة

- العصور الحضارية لممالك النوبة المسيحية .
- العصر المسيحى المبكر .
- عصر الرخاء (العصر الذهبى للنوبة المسيحية) .
- مجتمع النوبة ونظامه السياسى فى ضوء الاكتشافات الأثرية الحديثة .
- الحياة الاقتصادية فى ضوء الاكتشافات الأثرية الحديثة .
- الحياة الدينية والنظام الكنسى فى ضوء الاكتشافات الأثرية الحديثة .

الفصل الثالث

النظم والحضارة فى ممالك النوبة المسيحية فى ضوء الاكتشافات الأثرية الحديثة

العصور الحضارية لممالك النوبة المسيحية :

اعتمدت دارسة تاريخ الممالك المسيحية بالنوبة قبل اكتشافات حملة اليونسكو على ما توافر وقتئذ من وثائق تحوى نصوصا قبطية ونوبية ، وعلى ما تم الكشف عنه من آثار خلال أعمال الحفر والتنقيب السابقة لهذه الحملة ، وذلك إلى جانب ما حوته المصادر التاريخية من أحداث متفرقة . كذلك قامت دراسة النظم والحضارة فى ممالك النوبة المسيحية على ما توافر من معلومات حتى ذلك الحين[1]. غير أن ما تم اكتشافه من اثار نتيجة الجهود الدولية اعتبارا من سنة ١٩٦٠ ، وما نشر من دراسات عن هذه الاكتشافات يدعو الآن إلى دراسة هذه الجوانب الحضارية فى تاريخ ممالك النوبة المسيحية دراسة جديدة ، تعتمد على ما حققته هذه الممالك من إنجاز مادى ؛ إذ أصبح لدينا لأول مرة مجموعة من الشواهد الأثرية التى يتمثل فيها عنصر الاستمرار وتغطى إلى حد كبير سنوات الحقبة المسيحية فى بلاد النوبة . ومن خلال هذه الشواهد يمكن تتبع نمو وازدهار ثم انحطاط حضارة النوبة المسيحية[2]. وقد تمكن وليام آدامز **W.Y. Adams** اعتمادا على هذه المادة الأثرية من تحديد سبع مراحل على الأقل

من التطور فى التاريخ الحضارى للنوبة المسيحية[3] وهى :

١ – العصر الانتقالى : من حوالى ٥٥٠ إلى ٦٠٠ م
٢ – العصر المسيحى المبكر (الأول) : ٦٠٠–٧٥٠ م
٣ – العصر المسيحى المبكر (الثانى) : ٧٥٠–٨٥٠ م

(١) مصطفى مسعد ، الاسلام والنوبة ، ص ٧١ – ١٠٥ .
(٢) Adams, W.Y., JEA 51, P.171.
(٣) Adams, W.Y., Sudan Antiquites Service Excavations in Nubia. Fourth Season 1962-63, Kush XII; PP.241 FF.

٤ – العصر المسيحى الكلاسيكى (الأول) : من حوالى ٨٥٠ إلى ٩٥٠ م
٥ – العصر المسيحى الكلاسيكى (الثانى) : من حوالى ٩٥٠ إلى ١٠٥٠ م
٦ – العصر المسيحى المتأخر (الأول) : من حوالى ١٠٥٠ إلى ١١٥٠م
٧ – العصر المسيحى المتأخر (الثانى) : من حوالى ١١٥٠ إلى ١٢٥٠م

ويرى ادامز أنه من الممكن إضافة عصر ثامن يخص الفترة الأخيرة من تاريخ المسيحية فى النوبة ، وذلك لبقاء المسيحية مدة قرن آخر أو ما يقرب منه فى دنقله وعلوه .

ولكن ليس من اليسير الإتفاق مع مثل هذا التحديد التاريخى للتمييز بين عصر حضارى وآخر ، فمن الثابت أن التطور الحضارى لا يحدث فجأة أو بناء على قرار سياسى أو حدث تاريخى واحد ، وقد يكون لحدث ما أثر مميز فى عملية التطور الحضارى ، غير أنه لا يمكن اعتباره العامل الوحيد للانتقال الحضارى من عصر إلى آخر ، فالفترة التاريخية التى تضم العصر الانتقالى والعصرين المسيحيين المبكرين الأول والثانى فى تقسيم آدامز تمثل بلاشك البداية نحو ما شهدته ممالك النوبة من تطور فى الفترة التى يطلق عليها ادامز اسم العصرين الكلاسيكيين الأول والثانى . ولابد ان هناك بعض العوامل التى كان لها الفضل خلال هذه الفترة المبكرة فى حدوث هذا التطور الذى بلغ ذروته فى هذين العصرين الكلاسيكيين ، والذى تمثل فى رخاء مجتمع النوبة خلالهما ، كما أنه لابد من وجود عوامل أدت إلى ما أصاب هذا المجتمع فى العصر المسيحى المتأخر وكانت سببا فى سقوط الممالك المسيحية به .

وعلى ذلك يمكن تقسيم المراحل التى مرت بها حضارة بلاد النوبة فى الفترة الواقعة بين التبشير بالمسيحية وسقوط ممالكها إلى ثلاثة عصور :

أولا : العصر المسيحى المبكر ، وهو عصر انتقال قلدت فيه النوبة ما وصل إليها من حضارة جيرانها ، وجرت به عدة أحداث أدت إلى النمو الحضارى لممالكها .

ثانيـا : عصر الرخاء ، وهو عصر تميز بالاستقرار والاستقلال ، وازدهرت فيه العمارة والفنون بعد أن تمثلت ما وصل إليها من تأثيرات مصرية إسلامية بوجه خاص .

ثالثـا : العصر المسيحى المتأخر أو عصر الاضمحلال ، وفيه تسقط ممالك النوبة فى النهاية نتيجة لعزلتها الحضارية ، وما حدث من ضغط خارجى ونزاعات داخلية .

ويمكننا فى ضوء الاكتشافات الاثرية الحديثة أن نقدم دراسة أكثر تفصيلا لهذه العصور الثلاثة[1]:

العصر المسيحى المبكر :

ويمتد هذا العصر من حوالى منتصف القرن السادس إلى حوالى منتصف القرن التاسع الميلادى . وتظهر الطبقات الأثرية الخاصة بهذا العصر أن حالة من الفقر النسبى قد عانت منها البلاد خلال الفترة الممتدة من سنة ٥٥٠ م إلى سنة ٧٥٠ م ، تلتها حالة من الرخاء النسبى فى القرن التالى (٧٥٠ – ٨٥٠ م) . وكانت القرى فى هذا العصر صغيرة ومتباعدة ، ثم ظهر التمركز فى تجمعات أكبر مع حالة الرخاء النسبى ، كذلك كانت المنازل صغيرة ومبنية بالطوب اللبن أو الأحجار ، واستخدمت الأقبية فى التسقيف فى نهاية هذا العصر[2].

وبدأت الكنائس فى النوبة صغيرة وبسيطة ، وتميزت بهيكلها الصغير المفتوح ، ثم أصبحت كبيرة ومتسعة واتقنت زخارفها . وتظهر فى بداية هذا العصر من إنتاج الفخار طرز وأوانى محلية ، وأوانى مستوردة من مصر ، ويبرز منها بوجه خاص تلك الأمفورات غير المزخرفة التى تم استيرادها من أسوان ، والتى مثلت نحو ثمانين فى المائة على الأقل من إجمالى الخزف المستورد . وكانت

---

(١) تقع الدراسة المتعلقة بالعصر المسيحى المتأخر ضمن الدراسة الخاصة بانتشار الاسلام فى الفصل التالى .

(٢) Adams, W.Y., Kush XII, PP.243 f.

أسوان مركزا للتجارة ، وتم فيها تصدير كثير من البضائع إلى النوبة[١]. ويربط وليام آدامز بين اكتشاف كميات من هذه الأمفورات فى بلاد النوبة وما كانت عليه العلاقات الاقتصادية بين مصر والنوبة ، ويرد النقص الملحوظ فى هذه الأوانى فى منتصف القرن الثامن الميلادى إلى فرض قيود على الأديرة القبطية فى صعيد مصر فى أعقاب قيام الخلافة العباسية سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) ، وكانت هذه الأديرة هى المصدر الأول الذى أمد النوبة بالأمفورات والخمر الذى كانت تحتوى عليه[٢]. وأرى أنه لا ينبغى اعتبار عدم العثور على الأمفورات المصرية فى بعض الطبقات التى ترجع إلى هذا العصر ، مقياسا عاما للحكم على ما كانت عليه العلاقات الاقتصادية بين مصر والنوبة ، فربما كان النقص الملحوظ فى هذه الأوانى ناتجا عن ارتباطها بالخمر ، إذ كان الخمر من العطايا التى أهداها المسلمون للنوبة مقابل الرقيق وفقا لعقد الصلح (اتفاقية البقط) ، إلا أن هذه العطية لقيت معارضة فى عهد المعتصم بالله[٣]، وأرجح حدوث هذه المعارضة فى تاريخ سابق أيضا .

وعلى أية حال فقد اهتمت النوبة بانشاء مصانع الفخار والخزف فى فرس ودبيره شرق وسره وغيرها[٤].

ويبدو أثر مصر الاسلامية فى نمو وتطور كثير من الجوانب الحضارية فى ممالك النوبة المسيحية بوضوح شديد . ولم تكن هذه الممالك وقت اعتناقها للمسيحية خاضعة من الناحية السياسية للامبراطورية البيزنطية رغم محاولات بيزنطة لاتخاذها حليفا ضد اليمن . ومع التبشير بالمسيحية برزت العلاقة الدينية

---

(١) المقريزى ، الخطط ، حـ ١ ، ص ١٩٦ .

(٢) Adams, W.Y., JEA 51, P.173; id., The evolution of christian Nubian Pottery. Nubische Kunst, PP.118 f; Shinnie, christian Nubia, PP.569 f

(٣) المقريزى ، المصدر السابق ، ص ٢٠١ .

(٤) Griffith, LAAA XIII, P.63; Adams, W.Y., The christian Potteries at Faras, Kush IX, PP.30-34; id., Pottery Kiln Excavations, Kush X, PP.62-75; Kamila Kolodziejczyk, Some remarks on the christian ceramics from Faras in ''Nubia christiana, Tom I'', P.175.

بين النوبة وبيزنطة ، إلا أن هذه العلاقة حل بها الضعف بعد الفتح الاسلامى لمصر ، مما أثر على انتشار المذهب الملكانى ببلاد النوبة . والحقيقة أن العلاقة بين النوبة ومصر الاسلامية تمثل أهم عامل أدى إلى النمو الحضارى فى هذه البلاد . ويبرز دور اتفاقية البقط فى تحديد ملامح هذه العلاقة منذ البداية ، إذ كان من نتائجها تحقيق عامل الاستقرار ، وتهيئة الظروف الملائمة لتحقيق النمو والتطور ، كما أنها أتاحت للنوبة فرصة الاتصال الثقافى والتجارى بمصر[1]، رغم ما حدث من صدام فى بعض الأحيان .

وفى أخبار هذه الاتفاقية ما يؤكد هذه الحقيقة ، فهى بين مصر الاسلامية ومملكة النوبة الممتدة من اسوان إلى حد أرض علوة ، وفيها ما يؤكد أن أهل هذه المملكة آمنون بأمان الله ورسوله ، ووعد بعدم محاربة المسلمين لهم ، ماداموا قائمين بتنفيذ ما تم الاتفاق عليه مثل ارسال ثلاثمائة وستين رأسا من أفضل رقيق بلادهم . ولم يرد فى نص هذه المعاهدة ما يشير إلى التزام المسلمين بدفع شىءلهم ، ولكن جرى العرف على إمدادهم بالحبوب والثياب والخمر ، وكان امدادهم بهذه العطايا نتيجة وعد من عبد الله بن سعدلعظيم النوبة « قليدوروث » الذى شكا قلة الطعام ببلده[2]. وهكذا يحقق عقد الصلح للطرفين سبلا لحسن الجوار والتبادل التجارى ، وهدا ما حدث إلا ى الاوقات التى امتنع فيها النوبيون عن دفع البقط ، وحتى بعد امتناعهم عن دفعه لمدة أربع عشرة سنة ، ووصول جورج (قيرقى) إلى بغداد مبعوثا من قبل أبيه زكريا بن يحنس ملك النوبة لمقابلة الخليفة المعتصم بالله ، كان قرار الخليفة هو دفع بقط سنة واحدة كل ثلاث سنوات[3]، والتنازل عن بقط الأربع عشرة سنة[4].

وإذا كانت علاقة مصر الاسلامية بالنوبة هى اهم عامل أدى إلى ما تحقق من نمو ورخاء فان هناك عوامل أخرى أدت أيضا إلى نموالإمكاناتالاقتصادية لهذه البلاد ومنها اتحاد مملكتى الشمال (نوباديا ومقرة) ، وهو اتحاد ظلت فيه

(١) Shinnie, christian Nubia, P.567.

(٢) المقريزى ، المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٠١ .

(٤) أبو المكارم ، ص ١٢٣ .

الحدود بينهما قائمة ، وكان لنوباديا فيه سلطة سياسية ، تمثلت فى نائب الملك الذى أقام فى فرس .

وسبقت الإشارة إلى أن ممالك النوبة التى تم التبشير فيها بالمسيحية كانت ثلاث ممالك مستقلة ، اعتمد الباحثون فى وصف حدودها على ما أورده الجغرافيون العرب الذين أطلقوا عليها جميعا اسم النوبة ، وتبرز فى كتابات هؤلاء الجغرافيين بعض الاختلافات حول حدود هذه الممالك[١]. والنوبة الخالصة هى نوباديا أو أرض المريس[٢]، وكانت تنقسم فى العصر الرومانى إلى قسمين أولهما دوديكاخوينوس الذى عرف بعد ذلك باسم بلاد العلى ، وحدوده من جنوب أسوان إلى بلدة المحرقة (هيراسكامينوس) ، وعرف القسم الثانى باسم ترياكونتاخوينوس أو بلاد الجبل ، وينتهى عند بلدة عكاشة[٣]. ويذكر ابن سليم الأسوانى أن الحد الشمالى لمريس يقع عند قرية تعرف بالقصر ، بينها وبين أسوان خمسة أميال ، وآخر حصن للمسلمين فى وقته جزيرة بلاق (فيله) ، وبينها وبين القصر ميل واحد ، وهذه الجزيرة هى ساحل بلد النوبة الذى تنتهى إليه سفن النوبة وسفن المسلمين من أسوان[٤]. أما آخر قرى المريس كما يذكر ابن سليم فقرية عرفت باسم يستو[٥].

وكانت عاصمة هذه المملكة بلدة فرس التى ورد ذكرها فى المصادر العربية باسم نجراش[٦]، وأبو جراس[٧]، كما وردت لها قراءات مختلفة أخرى ، فهى

---

(١) Kirwan, JEA XXI, P.62.

(٢) تعنى المريس فى اللغة القبطية الاقليم الجنوبى ، وإليها تنسب الريح المريسية ، انظر المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ١٨ ،

Griffith, Pakhoras-Bakharas - Faras, p. 266.

(٣) الشاطر بصيلى عبد الجليل ، تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ص ٨٤ .

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ص ١٩١ ، ١٩٩ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٩١ . وكانت يستو تقع على بعد سبعة وعشرين ميلاً شمالى دنقلة الجديدة .

(٦) المقريزى ، المصدر السابق ، ص ١٩٠ ، ١٩٢ .

(٧) أبو المكارم ، ص ١٢٠ .

نحراش ونحراس وبجراش ، وأصل تسميتها هو بخراس Pakharas الذي أطلق عليها في العصر المروى ، وبخورس Pakhoras وأطلق عليها في العصر المسيحى باللغة القبطية[1] ، وتدل على ذلك النقوش التى عثر عليها بفرس وأماكن قريبة منها والمؤرخة بالعصرين المروى والمسيحى .

أما المملكة الثانية وهى مقرة فكانت تبدأ من بلدة عكاشة وتنتهى جنوبا عند حد الأبواب (كبوشية الواقعة شمال شندى) ، وذكر أبو المكارم أن أول بلاد مقرة هو الدير المسمى بدير سفنوف على اسم ملك النوبة[2].

وتبدأ مملكة علوة من منطقة الأبواب[3]، وكانت عاصمتها سوبا على النيل الأزرق . ولم يرد ما يوضح مدى اتساع هذه المملكة ، أو الحد الجنوبى لها[4]، غير أن كيروان Kirwan يذكر أنها امتدت حتى سنار على بعد مائة وسبعين ميلا جنوبى الخرطوم[5]، وامتدت شرقا حتى حدود الحبشة وغربا إلى بعض جهات دارفور وكردفان .

ولقد اختلف العلماء حول التاريخ الذى تمت فيه الوحدة بين نوباديا ومقرة والأسباب التى دعت إلى تحقيقها ، إذ ورد فى المصادر التاريخية أن عقد الصلح كان بين عبد الله بن سعد بن أبى السرح وعظيم النوبة سنة ٦٥٢ م وشمل البلاد الممتدة من حدود مصر إلى حدود علوة ، أى أن سيطرة عظيم النوبة قد شملت هاتين المملكتين[6]. وعلى هذا يقرر العلماء أن هذه الوحدة قد تحققت بين سنة ٥٨٠ م وهى السنة التى يشير فيها يوحنا الأفسسى إلى استقلال ممالك النوبة الثلاث – وسنة ٦٥٢ م[7].

---

(١) Grifith, Pakhoras-Bakharas-Faras, PP.259-268.

(٢) أبو المكارم ، ص ١١٩ .

(٣) المقريزى ، المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

(٤) مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ٧٧ – ٧٨ .

(٥) Kirwan, JEA XXI, P.62.

(٦) المقريزى ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ .

(٧) Lane Poole, S., History of Egypt, p. 22; Kirwan, JEA XXI, p. 61; مصطفى مسعد ، الاسلام والنوبة ، ص ٧٢ – ٧٣ .

وربما كانت هذه الوحدة نتيجة غزو أجنبى سابق لمحاولات العرب الأولى لفتح النوبة ، مثل محاولة الفرس الوصول إلى النوبة فيما بين سنتى ٦١٩ و ٦٢٩ م[١].وربما كان السببهو شعور النوبة بالخطر بعد ضياع مصر وسوريا من يد بيزنطة ، الأمر الذى أدى إلى انقطاع الصلة بين بيزنطة ومقره من الناحية الدينية ، ومن هنا وجدت مقرة نفسها مضطرة إلىالاندماج فىإحدى الدولتين المعتنقتين للمذهب المونوفيزيتى وبهذا تسبق الوحدة مجىء الحملات الاسلامية إلى النوبة[٢]. وقد يكون السبب هو فقدان نوباتيا استقلالها نتيجة الهجمات على حدودها مع مصر ونزاعاتها مع مقرة[٣]. ومن المحتمل كذلك أنه كان للجماعات العربية التى جاءت إلى حوض النيل الأوسط عبر البحر الأحمر دور فى ذلك ، إذ أن هذه الجماعات كانت تحمل أراء جديدة لمعالجة مختلف أوجه النشاط الدينى والاجتماعى ، مما سبب خلخلة فى المجتمع وفكاك أوصاله ، وبخاصة فى علاقة الشعب بالحاكم الذى كان فى مرتبة الالهة[٤].

ويرى البعض أن هذه الوحدة قد تمت فى حوالى نهاية القرن السابع ، أى بعد عقد الصلح بين مصر والنوبة بنصف قرن ، وذلك خلال حكم مرقوريوس الذى اعتلى عرش النوبة فى سنة ٦٩٧ م[٥]. ويستند اصحاب هذا الرأى إلى أمرين أولهما أن هاتين المملكتين كانتا غير متحدتين حتى سنة ٦٩٠ م ، والدليل على هذا هو ما جاء فى سيرة البطريرك اسحق ٦٩٠ — ٦٩٣ م بشان نزاع نشب بين ملك مقرة وملك موريتانيا سنة ٦٩٠ م ، بسبب حاجة الأول إلى اساقفة ، ومنع الأخير إياهم من المرور بمملكته . وملك موريتانيا فى رأى مونريه دىفيار هو ملك نوباديا . والأمر الثانى هو تحول مقرة إلى المذهب المونوفيزيتى على يد مرقوريوس ، مما جعل الكنيسة المصرية تمنحه لقب « قسطنطين الجديد » كما ورد فى سيرة الأنبا ميخائيل التى دونت فى حوالى سنة ٧٦٨ — ٧٧٠ م .

---

(١) Kirwan, Op. Cit, p. 62.

(٢) زاهر رياض ، مصر وافريقيا ، ص ٥٨ .

(٣) Vantini, G., christianity in Medieval Nubia, p. 17.

(٤) انشاطر بصيلى عبد الجليل ، المرجع السابق ، ص ١١٩ .

(٥) De Villard, Storia, p. 76.

عن مصطفى مسعد ، الاسلام والنوبة ، ص ٧٣ .

وورد اسم هذا الملك فى نقش بمعبد تافه يرجع إلى سنة ٧١٠ م ، ينسب إليه اتمام هذا العمل الجليل ، وربما كان هذا العمل هو تحويل المعبد إلى كنيسة . وعلى هذا تكون نوباديا التى تقع بها تافه قد اتحدت مع مقرة خلال الفترة الواقعة بين نزاع ملك مقرة و« ملك موريتانيا » التى هى نوباديا فى رأى مونريه دى فيار – وسنة تحويل معبد تافه إلى كنيسة .

ويرى جاكوبوليسكى S.Jakobielski تأييدا لرأى مونريه دى فيار أنه لم يكن هناك صدام على نطاق واسع بين العرب والنوبة بعد توقيع عقد الصلح ، ولكن العرب ركزوا جهودهم فى العمل على اضعاف النوبة ، ووجدت نوباديا أنها قد تحملت معظم عبء البقط والصدامات على حدودها فاهتزت أوضاعها ، وسرعان ما سعت مقرة إلى تحقيق الوحدة معها وإن أجبرت على تغيير مذهبها الملكانى[١].

وتقوم هذه الآراء فى الحقيقة على سند ضعيف ، فالمصادر القبطية لم تتفق رواياتها بشأن ذلك النزاع بين ملك مقرة وملك موريتانيا ، إذ أشارت بعض المصادر المسيحية إلى ان النزاع كان بين ملك مقرة وملك الحبشة[٢]. وإن صح وجود خلاف بين ملك مقرة وملك موريتانيا ، فان هذا الخلاف يكون فى الحقيقة بين ملك مقرة وملك الواحات (الداخلة والخارجة والفرافرة) التى كانت مملكة مستقلة تخترقها طرق القوافل التى استخدمتها جماعات رجال الدين فى رحلاتها[٣]. وعلى أية حال فان كيروان يعتقد أن ذكر موريتانيا هنا ليس إلا خطأ كتابيا[٤]، كما أن تحول مملكة مقرة إلى المذهب المونوفيزيتى ، وقيام هذه الوحدة الدينية لا

---

(١) Jakobielski, S., Bishopric, P. 35.

(٢) ساويرس المقفع ، تاريخ البطاركة ،
Historia Patriarcharum Alexandrinorum (Tomus I, Fasciculus I). Edidit chr. Fred Seybold (Soriptores Arabici Textus), p. 131.

(٣) الشاطر بصيلى ، المرجع نفسه ، ص ٨٧ .

(٤) Kirwan, JEA XXI, P.61.

يعنى أن المملكتين تتحدا سياسيا من قبل[1]. وكان وراء هذه الوحدة الدينية التى تحققت باعتناق مقرة للمذهب المونوفيزيقى انتهاء السيطرة البيزنطية على مصر بعد الفتح العربى لها ، كما كان لموقف العرب من الملكانيين باعتبارهم موالين لبيزنطة أثر كبير فى هذا ، إذ أدت محاباة الفاتحين للكنيسة المونوفيزيتيه إلى تقلص نشاط الملكانيين فى مصر ، بل وإلى توقف نشاطهم قرابة قرن ، مما أدى إلى قيام صعوبات أمام الأساقفة الملكانيين فى الوصول إلى النوبة[2].

أما عصر الرخاء أو العصر الذهبى للنوبة للمسيحية :

فيمتد من حوالى منتصف القرن التاسع إلى حوالى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى . وتشير الشواهد الأثرية والمصادر التاريخية إلى أنه كان أزهى عصور النوبة المسيحية لما تميز به من رخاء تحقق لتوافر الظروف الملائمة وأهمها حالة السلام والأمن التى عاشتها ممالك النوبة مع مصر فى العصر الطولونى والاخشيدى والفاطمى ، هذا برغم قيام النوبة ببعض الهجمات على صعيد مصر . وتشير الفحوص الأثرية إلى الكثافة السكانية فى هذا العصر فى عدد من المراكز مثل فرس غرب وفرس شرق وسره شرق ودبيره غرب ومينارتى ، وانتشار مستوطنات السكان على مساحة واسعة[3]. وتدلنا الدراسة الأثرية على هجرة السكان لبعض المواقع القديمة نتيجة فيضان النيل ، ومن هنا كان تمركز السكان على أرض مرتفعة فى منطقة الشلال الثانى بصفة خاصة ، وذلك خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين[1]. ولاشك أن ما حدث نتيجة لهذه

---

(١) مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ٧٤ .

(٢) Jakobielski, S., Bishopric, PP.35-36; Meinardus, O., christian Egypt faith and life, P.406. Verwers, G.J. Kush x, PP.30-33; Adams, Kush XII, PP.222-241; Shinnie, The Univ. of ghana Excavations at Debeira West 1963. Kush XII, PP.208-215.

(٣) Adams, Kush XI, PP. 42ff.

الفيضانات من تمزق فى محتمع النوبة بعد تحطم مستوطناته ، كان سببا مباشرا وراء تلك الهجمات المتكررة للنوبة على صعيد مصر فى سنة ٩٥٦ م وسنة ٩٦٢ م[١]. ومما يذكر فى هذا الشأن أنه لم يعثر خلال الاكتشافات الأثرية المختلفة ببلاد النوبة على أسلحة أو عتاد حربى بين المكتشفات العديدة الأخرى[٢]. ورغم هذا فان هذه الفيضانات لم تؤثر تأثيراً كبيراً على الامكانات الاقتصادية لبلاد النوبة ، إذ عادت الأحوال إلى طبيعتها بعد استئناف النهر لمستواه العادى ، وشهدت البلاد زيادة كبيرة فى كمية السلع التجارية المصرية التى تشير إلى تطور العلاقات مع مصر فى ذلك الوقت .

ويرى شينى P.L. Shinnie أن العلاقات الودية التى قامت بين النوبة ومصر فى العصر الفاطمى ترجع إلى معرفة الفاطميين بقوة النوبة العسكرية ، وإلى مساعدة النوبيين للفاطميين فى استيلائهم على مصر[٣]. والحقيقة أن هذا الأمر قد يكون صحيحا فى أول قيام الدولة الفاطمية ، أما بعد رسوخ دعائم هذه الدولة فاننا نجد مصر قد أصبحت فى ذروة قوتها السياسية والعسكرية والحضارية وكانت سياستها مبنية على حسن الجوار والتسامح مع أهل الذمة . وتبرز لنا سياسة المسلمين فى النشر التدريجى للإسلام فى هذه البلاد والحرص على حماية المسلمين بها طبيعة النهج الذى سار عليه المسلمون فى التعامل مع هذه البلاد ، ويتضح هذا على سبيل المثال فى حرص الحاكم بأمر الله على توصية البطاركة بالكتابة إلى ملكى النوبة والحبشة لتعريفهما بما يلقاه النصارى فى مصر من إكرام[٤]، ودعوتهما إلى أن يستوصيا بالمسلمين تحت رعايتهما . كذلك أشارت المصادر التاريخية إلى تجنيد النوبيين فى الجيش الطولونى والفاطمى[٥]، وإلى أن أم الخليفة المستنصر كانت نوبية سوداء ، وكان هو أيضا

---

(١) Adams, JEA 51, P. 175.

(٢) Shinnie, Christian Nubia, P. 573.

(٣) Shinnie, Medieval Nubia, In "The Middle Age of African History", P. 3.

(٤) ساويرس بن المقفع ، تاريخ البطاركة ، مج ٢ ، ج ٢ ، ص ١٤٤ ؛ أبو المكارم ، ص ١٣٤ .

(٥) المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٩٤ .

أسمر اللون ، ومن هنا كان استكثاره من جند السودان ، وقيام طوائفهم بالسكنى فى حارات عديدة معروفة فى القاهرة[1]. وتبرز العلاقة الطيبة بين الفاطميين وملوك النوبة فى موقف الفاطميين من « سلمون » ملك النوبة الذى عزل نفسه وسلم زمام الحكم لابن اخته جورج الثالث ، ومضى إلى واد يعرف باسم القديس أبو نوفر للعبادة والنسك فى بيعة على اسم هذا القديس ، بينها وبين أطراف النوبة مسيرة ثلاثة أيام ، وبينها وبين أسوان مسيرة عشرة أيام . وكان والى أسوان يومئذ سعد الدولة شاردكين القواسى ، واستطاع هذا الوالى بمعاونة أحد أخوة كنز الدولة الوصول إلى موضع سلمون ، وأتى به إلى القاهرة حيث « تلقاه كل من فيها من الامراء والمقدمين بالطبول والبنود والبوقات ، ولما دخل إلى القاهرة أكرمه أمير الجيوش ، وأنزله فى دار حسنة وحمل إليه الكسوة والفرش والانية » إلى أن تنيح بعد سنة ، ودفن فى دير القديس مارى جرجس بالخندق[2].

وتشير الاكتشافات الاثرية إلى أن المنازل فى هذا العصر كانت كبيرة إلى حد ما ، وذات حجرات كبيرة ، لها أسقف مسطحة أو قبوات مبنية بالطوب اللبن ، كما شيدت قصور كبيرة . كذلك تشير الشواهد الاثرية إلى وجود منازل بدائية ، ربما بنيت لتحل محل منازل أقدم حطمتها الفيضانات[3]. ويبدو التطور الذى طرأ على عمارة الكنيسة وزخرفتها فى هذا العصر واضحا . وتؤكد الاكتشافات الأثرية ما أشارت إليه المصادر التاريخية من وجود أديرة كثيرة للرجال[4].

أما الخزف الذى كشفت عنه حفائر هذا العصر فمنه ما صنع محليا ، ومنه ما تم استيراده من مصر الاسلامية . وتكشف الكميات الكبيرة التى عثر عليها

(١) عبد المنعم ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين ، ص ٢٣٦ .

(٢) ساويرس بن المقفع ، تاريخ البطاركة ، مج ٢ ، جـ ٣ ، ص ٢١٠ - ٢١١ ، أبو المكارم ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٣) Adams, JEA 51, P.174; id., Kush XII, P. 244.

(٤) Jakobielski, Bishopric, P. 59; Vantini, G., christianity in Medieval Nubia, P. 21.

مما صنع محليا ، انها زخرفت بعناية ،. وتميزت بصناعتها الدقيقة ، وزخارفها الغنية ، وتنوعت اشكالها بين قدور وأوان صغيرة غير عميقة وأخرى كبيرة(١). أما الأوانى المستوردة فتظهر ندرتها فى الاول الأمر ، ثم تعود إلى الظهور بوفرة ، وبخاصة ذات الطلاء الزجاجى الشفاف(٢). ومن هذه الأوانى قطع من النوع المعروف باسم خزف الفيوم ، وكذلك الخزف ذى البريق المعدنى الفاطمى ، وان كان ما عثر عليه من النوع الاخير قليلا(٣).

وتشير المصادر التاريخية إلى ما كانت عليه مقرة وعلوة من ازدهار فى هذا العصر ، فيصف اليعقوبى مملكة مقرة بأنها بلاد نخل وكرم وزرع(٤)، ويصف أبو المكارم دنقلة أيام روفائيل ملك النوبة (١٠٠٢ - ١٠٠٦ م) قائلا إن بها سرير الملك ، وإنها « مدينة عظيمة على شاطئ بحر النيل المبارك ، وبها كنائس كثيرة ، وآدر كبار وشوارع متسعة ، ودار الملك شاهقة البناء بقباب عدة مبنية بالطوب الأحمر تحاكى أبنية العراق ... »(٥)

ويصف ابن سليم علوة وعاصمتها قائلا إن بها كنائس عديدة ، وأبنية حسان ، ودورا واسعة ، وبساتين وأراض خصبة ومروجا واسعة(٧)

كما يشير إليها أبو المكارم قائلا إن بها جيشا ومملكة عظيمة جدا ، وأعمالا متسعة ، وأربعمائة كنيسة(٦)، بقى منها فى القرن السادس عشر مائة وخمسون زينت بصور للمسيح مصلوبا ، وصور للعذراء أيضا(٧).

(١) Kolodziejczyk, K., Some remarks on the christian ceramics from Faras "In" Nubia christiana, Tom I" P. 178.

(٢) Adams, Kush XII, PP. 244f; Moorsel and others, The central church of Abdallah Nirqi, PP. 39f.

(٣) Adams, The evolution of christian Nubian Pottery. Nubische Kunst, PP. 120f; Shinnie, Op. Cit., P.4.

(٤) تاريخ اليعقوبى ، جـ ١ ، ص ٥٥ .
أبو المكارم ، ص ١٢١ .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ١٩٣ .

(٦) أبو المكارم ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٧) Budge, Text relating to Saint Mena of Egypt, p.5.

والحقيقة أن ما أجرى من حفائر فى المناطق التى امتدت عليها مملكة علوة لم يبرز لنا إلا القليل جدا من آثارها المسيحية ، وربما يرجع ذلك إلى أنها لم تنعم بنفس القدر من أعمال التنقيب والمسح الأثرى الذى نعمت به مملكة الشمال ، وربما كان لعوامل التعرية أيضا دور فى ضياع آثار هذه المملكة .

ويصف ابن سليم أيضا بعض الجهات التى زارها ، ومنها مواقع ضمت « قرى متصلة وعمارة حسنة بأبرجة حمام ومواش وانعام » ، وأخرى كان بها « نحو ثلاثين قرية بالابنية الحسان ، والكنائس ، والأديار ، والنخل الكثير والكروم ، والبساتين ، والزرع ومروج كبار ... » أما المنطقة الواقعة بين دنقلة وأول بلد علوة فان بها « من القرى والضياع والجزائر ، والمواشى والنخل والشجر والمقل والزرع الكرم أضعاف ما فى الجانب الذى يلى أرض الاسلام »[1].

مجتمع النوبة ونظامه السياسى فى ضوء الاكتشافات الاثرية الحديثة :

تألف مجتمع النوبة المسيحى من ثلاث طبقات هى :

– الطبقة الحاكمة ، وشملت الأسرة المالكة وعلى رأسها الملك الكبير وولى العهد وحكام الأقاليم ، وتمتعت هذه الطبقة بالحقوق الدينية والسياسية والتى جعلت منها طبقة متميزة .

٢ – طبقة الموظفين ، وتولت مختلف الوظائف فى العواصم والأقاليم

٣ – طبقة عامة الشعب .

وفيما يتعلق بالطبقة الأولى فإن أعمال التنقيب لم تكشف لنا عن مقبرة أى من الملوك الذين حكموا خلال الحقبة المسيحية كلها[2]، ولكنها أبرزت مكانة الملكة الأم ، وذلك من خلال ما تم الكشف عنه من تصاوير على جدران كاتدرائية فرس ، وكان نظام الوراثة السائد هو نظام الأمومة فيرث ابن البنت أو أبن الاخت ، وهى عادة قديمة عند كثير من الشعوب ، وعلى الأخص

(١) المقريزى ، المصدر السابق ، ص ١٩١ .

(٢) Adams, JEA 51, p.171.

الشعوب الحامية[1]. ويقول أبو المكارم أن العادة الجارية أنه « إذا مات ملك وخلف ولدا وكان له ابن اخت فيملك بعد خاله دون ولد الملك ، وإن لم يكن له ابن اخت يملك ولده بعده »[2]. وبرغم تمسك ملوك النوبة بهذا المبدأ فى وراثة العرش فإن هناك حالات تم فيها الخروج على القاعدة[3].

وكانت لملك النوبة السلطة المطلقة فى البلاد التى سيطر عليها من خلال ثلاثة عشر ملكا ، كما حدث لقرياقوس الذى أطلق عليه لهذا لقب الملك الكبير[4]. كما اطلق على ملك النوبة الذى خضعت له مقره ونوباديا اسم عظيم النوبة ، كما ورد فى عقد الصلح بينه وبين عبد الله بن سعد[5]. وامتاز ملك علوة بجاه ونفوذ كبير لكثرة ماله ، وعظمة جيشه ، واتساع مملكته ، وخصوبة تربتها ، وكثرة المراعى بها[6].

ويهمنا هنا الإشارة إلى ما أضافته الاكتشافات الأثرية الحديثة عن ملوك النوبة ، وهذه الإضافات تتعلق بأسماء بعض ملوك غير معروفين ، وتاريخ حكم بعضهم ، وكذلك تصويب تواريخ حكم ملوك آخرين :

١ – من الملوك الذين لم يعرفوا من قبل Tokiltoeton ، وحكم فى حوالى سنة ٥٧٧ م[7].

٢ – لم يتول الملك جورج الأول – الذى أرسله أبوه زكريا بن يحنس إلى الخليفة المعتصم ٨٣٣ – ٨٤٣ م وهو لا يزال وليام للعهد – العرش بين سنتى ٨٧٢ و ٨٩٢ م[8]، بل كان توليه للعرش فى سنة ٨٥٦ أو سنة

(١) محمد عوض محمد ، السودان الشمالى سكانه وقبائله ، ص ٤٤ .
(٢) أبو المكارم ، ص ١٢٥ .
(٣) مصطفى مسعد ، الاسلام والنوبة ، ص ٨٣ وما بعدها ؛ مكى شبيكة السودان عبر القرون ، ص ١٧ .
(٤) أبو المكارم ، ص ١٢٥ .
(٥) المقريزى ، المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .
(٦) المصدر السابق ، ص ١٩٣ .
(٧) Michalowski, K., Open Problems of Nubian Art and Culture, p. 13.
(٨) مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ٢٨١ .

٨٥٩ أو سنة ٨٦٦ م ، وذلك بناء على نقش من عصر كيروس Kyros أسقف فرس[١]. وامتد حكم جورج الأول لفترة طويلة كما يتضح من إشارة أبي المكارم إليه ، فقد ذكر أن له صورة بمدينة درمس (كلابشة) يظهر فيها شيخا كبيرا يبلغ من العمر ثمانين عاما[٢]، ويبدو أنه ظل ملكا حتى سنة ٩٢٠ م كما يشير إلى ذلك نقش تأسيس باللغة القبطية على عتب حجرى مؤرخ بسنة ٩٣٠ م فى كنيسة المنحدر الجنوبى للكوم بفرس ، فقد وردت الإشارة إلى السنة العاشرة من حكم زكريا الثالث بن جورج الأول ، هذا ولم يكن تاريخ تولى تاريخ زكريا الثالث للعرش معروفا من قبل .

٣ – ورد فى هذا النقش القبطى الذى يشير إلى سنة تولى زكريا الثالث بن جورج الأول عرش النوبة أنه فى السنة العاشرة من حكم الملك زكريا ابن الملك جورجى Georgi (قيرق) ، وحينما كانت أمه مريم هى الملكة الأم ، وكان الأنبا الياس هو مطران بخورس ، تم بناء الكنيسة على المنحدر الجنوبى للكوم على يدعيسو Iesu نائب الملك فى نوباديا ، وذلك فى سنة ٦٤٦ للشهداء أى فى سنة ٩٣٠ م ، وعلى هذا يمكن تقدير التاريخ الصحيح لاعتلاء زكريا بن جورج الأول العرش باعتباره سنة ٩٢٠ م[٣].

٤ – عثر فى قلعة عدة على وثيقة باللغتين اليونانية والقبطية مؤرخة بسنة ١٠٢٧ م ورد بها ذكر ملك نوبى آخر لم يكن معروفا من قبل اسمه اسطفانوس Stephanos[٤]. ويسد هذا الكشف فراغا فى قائمة ملوك النوبة بين رفائيل (١٠٠٢ – ١٠٠٦ م) وسلمون (١٠٨٠ م) .

٥ – تنازل سلمون Solomon عن عرش النوبة فى سنة ١٠٨٠ م ولجأ إلى

---

(١) Jakobielski, S., Bishopric, p.95.

(٢) أبو المكارم ، ص ١٢٥ .

(٣) Michalowski, Kush XII, p.203; id., open problems of Nubian Art and Culture, p.13; Jakobielski, Bishopric p.112,

(٤) Millet, N., Gebel Adda, Actes du II Symposium, pp. 116f.

مصر حيث تنيح بعد مضى سنة ، ودفن فى دير القديس مارى جرجس بالخندق ، وكان قد تنازل عن العرش لابن اخته جورج الثالث كما ورد من قبل . وجورج الثالث الذى سقط من قائمة ملوك النوبة من قبل[1] ليس هو « جورج » الذي تولى الحكم بين سنتى ١١٣٠ و ١١٥٨ م ؛ فالأخير هو جورج الرابع الذى رفض العرش ، ومات فى سنة ١١٥٨ م بعد أن اعتزل فى دير بوادى النطرون[2].

٦ – أمدتنا الكشوف الأثرية باسم ملك آخر لم يكن معروفا من قبل وهو الملك مويس Moise ابن جورج الرابع وحفيد الملك باسيليوس Basilios (١٠٨٩ م) ، هذا ماذكره لنا نقش تحت تصويرة تمثل موضوع الميلاد فى البلاطة الشمالية بكاتدرائية فرس[3]. ويرجح ميخالوفسكى أن هذا الملك الذى اعتلى العرش فى حوالى سنة ١١٦٠ م هو الذى تدخل بقواته لصالح الفاطميين سنة ١١٧١ م ضد الايوبيين .

٧ – وتشير بعض الاكتشافات الأخرى إلى اسم ملك آخر هو جويل Joel وتقع أهمية هذه الاكتشافات فى التاريخ الذى حكم فيه هذا الملك ودلالته ، فقد عثر بلملى Plumley خلال حفائره فى قصر ابريم سنة ١٩٦٤ على وثائق فى جرة ، جاء فيها أنه فى سنة ١٤٦٤ م كان أسقف ابريم هو مركى Merki ، كما وردت بها الاشارة إلى اسم هذا الملك وإلى أنه يحكم فى جبل عدة[4]. وفى جبل عدة عثر على وثيقة مشابهة مؤرخة بسنة ١٤٨٤ م تشير إلى نفس الأسقف ونفس الملك ، وكانا لا يزالان قائمين بعملهما[5]. كما اكتشف جاكوبوليسكى اسم هذا الملك أيضا فى

---

(١) مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ٢٨١ – ٢٨٢ ؛ عطية القوصى ، تاريخ دولة الكنوز الاسلامية ، ص ١٤٨ – ١٤٩ .
Michalowski, Faras, Wall-Paintings, p.25.

(٢) Michalowski, Loc. Cit.

(٣) Plumley, New Evidence. (Nubia Christiana, Tom I) p.20

(٤) Millet. N., Gebel Adda, Preliminary report 1965-66, JARCE 6, pp. 53-63.

(٥)

نقش متأخر على الملاط بالممر المؤدى إلى البلاطة الشمالية فى كاتدرائية فرس[1].

ومن المعروف أن السلطة الفعلية فى القرن الخامس عشر كانت بيد المسلمين ، ومن الطبيعى كما ذكر وليام آدامز أن تتواجد بعض الجماعات المسيحية حتى ذلك الوقت[2]، غير أن السؤال الذى يطرح نفسه هو إذا ما كان المسلمون قد سمحوا بالفعل بوجود ملك مسيحى لأقلية مسيحية فى هذا القرن ، وكيف كانت علاقة هذا الملك بالحكام الفعليين للنوبة فى ذلك الوقت ، (أنظر الملحق رقم ١) .

وإلى جانب الملك قام حكام الأقاليم ، وهم نواب الملوك أو مندوبوهم بالحكم فى أقاليم النوبة الثلاثة عشر كما كان الحال فى عصر قرياقوس[3]. أما ولايات مملكة علوة فكان على رأس كل منها ملك ، وأكثرهم شهرة ملك أقليم الأبواب شمال المملكة ، والذى عرف فى أيام ابن سليم الاسوانى باسم الرحراح[4].

وحمل هؤلاء الحكام فى مملكة الشمال لقب هيزارك Hezarch أو إيبارك Eparch ، وأطلق عليهم أبو المكارم اسم الملوك ، وأشار إلى ممارستهم لوظائف كهنوتية إلى جانب مهامهم الادارية ، وقيامهم بالتقديس على الهياكل إلا إذا ارتكب أحدهم جريمة قتل بيده[5]. وأشهر هؤلاء الحكام هو حاكم نوباديا أو المريس الذى أطلق عليه فى المصادر العربية اسم صاحب الجبل[6]، واتخذ هذا الحاكم فرس مقرا له ، وكانت هى عاصمة الاقليم قبل وحدته مع مقره ، وظلت لها أهميتها الإدارية بعد الوحدة ، ولكن طبيعة مهام صاحب الجبل الإدارية والحربية جعلته

---

(١) Jakobielski, Inscription No. 44, In "Michalowski Faras, Wall - Paintings", p.304.

(٢) Adams; The Univ. of Kentucky Excavations at Kulubnarti 1969. p. 150.

(٣) أبو المكارم ، ص ١٢٥ .

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ١٩٢ .

(٥) أبو المكارم ، ص ١٢٥ .

(٦) المقريزى ، المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

يقيم أحيانا فى فى قصر أبريم[1]، كذلك أقام صاحب الجبل فى مدينة بوسقا[2]، وموقعها غير معروف ، وأدواء أو الدو ، وجزائر ميكائيل[3].

وما نعرفه عن سلطات صاحب الجبل قليل ، ويتلخص فى دفاعه عن حدود مملكة النوبة فى الشمال ضد الغزوات الخارجية ، ومنه وحده يصدر الإذن بدخول أحد من المسلمين أو من غيرهم إلى ماوراء الشلال الثانى[4].

ومن الألقاب النادرة التى كشفت عنها النقوش حديثا لبعض هؤلاء الحكام لقب « نائب الملك فى البلاط الملكى eparch of Palatium ، وربما كان هذا اللقب خاصا بمن يقومون بوظيفة أمين أول القصر الملكى Protodomestikos ويشغل صاحبها منصب حاكم أو يقوم بعمل القاضى أو يباشر بعض الشئون المالية[5].

(١) أبو المكارم ، ص ١٢١ . وتؤكد الاكتشافات الأثرية أيضا إقامته فى قصر إبريم . أنظر : Plumley, Some examples of Christian Nubian Excavations at Qasr Ibrim. Nubische Kunst, p.129.

وعثر بقصر ابريم على عدة خطابات باللغة العربية موجهة إلى صاحب الجبل فى ابريم ، وأحد هذه الخطابات يمكن تأريخه ببداية سنة ١١٦٩ م

Emery, Actes du II Symposium, p.105.

(٢) أبو المكارم ، ص ١١٩ .

(٣) المقريزى ، المصدر السابق ، ص ١٩٠ ؛ السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ١ ، ق ٣ ، ص ٧٣٧ . وكان نائب الملك فى عمل الدو وجزائر ميكائيل هو جريس فى عهد المنصور قلاوون سنة ٦٨٧ هـ وقتل فى سنة ٦٨٩ هـ المقريزى ، السلوك جـ١ ، ق ٣ ، ص ٧٥٣ .

وأرجح الاحتمالات أن الدو أو عدوه هى عدة المدينة المحصنة الثالثة باقليم المريس بعد أبريم وبخراس (فرس) ، وكانت تقع على بعد ١٦ كم من الحدود السودانية ، وهى تناسب تحصينها كقلعة مقر حاكم الإقليم مع هاتين المدينتين .

Mileham, Op.cit., pp.3 ff.

اما جزائر ميكائيل فالراجح أنها جزيرة ميخائيل المعروفة باسم مينارتى ، والتى أطلق عليها أيضا اسم ميلنارتى ، وتقع جنوبى الشلال الثانى مباشرة .

Mileham. op. cit., p.5; Somers clarke, Ancient Egyptian frontier fortresses, JEA III p.164; Griffith, LAAA XIV, p.103; Adams, Kush XII pp.222 f.

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ١٩٠ .

(٥) Jakobielski, Bishopric, pp.95 f.

أما الطبقة الثانية وهى طبقة الموظفين ، فقد أضافت حفائر مركز الأبحاث الأمريكى فى جبل عدة إلى معلوماتنا عنها وظيفة جديدة يتولى صاحبها مركز القائم بأعمال نائب الملك Anteparchos ، وذلك فى خطاب من نائب الملك فى نوباديا ، وكان اسمه ماريانوس Marianos إلى نائبه أو وكيله بشأن التصرف فى أمر أحد الخدم ، ونص الخطاب باللغة النوبية ، أما عناوينه فدونت باللغة اليونانية[١].

وإلى جانب هذه الوظيفة وجدت وظائف أخرى حمل أصحابها ألقابا بيزنطية استعارها النوبيون مما يوضح تأثير نظام الادارة بالبلاط البيزنطى فى نظام الادارة بالنوبة[٢]، ومن هؤلاء الموظفين أمين خاص الملك Domesticos[٣]، وحكام المدن ، ومن بينهم صاحب درمس – كما ذكر أبو المكارم[٤]، وكذلك حامل الرسائل أو البريدى ، وحامل التاج ،وكبير الحراس ، وأمين الأختام[٥].

وكانت طبقة أفراد الشعب خاضعة للملك ، ووسيلة من وسائل التبادل التجارى وذلك لانتشار الرق[٦]. ولم يكن بين أفراد هذه الطبقة بيع ولا شراء ، وإنما هى كما يقول ابن سليم « معاوضة بالرقيق والمواشى والحبال والحبوب »[٧] ويصف ابن سليم أهل علوة بأنهم أقل فهما من النوبة ، وملكهم يسترق من شاء من رعيته بجرم أو بغير جرم ، ولا ينكرون ذلك عليه ، بل يسجدون له ، ولا يعصون أمره على المكروه الواقع بهم ، وينادون الملك يعيش فليكن أمره[٨].

وعلى أية حال فإن الحياة الاقتصادية لهذه الطبقة تشير فى ضوء الاكتشافات الأثرية الحديثة إلى أنها عاشت حياة طبيعية ، شهدت فيها فترات من الرخاء ،

(١) Millet, N., Gebel Adda, Actes du II Symposium, p.116.

(٢) Jakobielski, Some remarkes on Faras Inscriptions. Nubische Kunst, p.32.

(٣) مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ٨٨ .

(٤) أبو المكارم ، ص ١٢٥ .

(٥) مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص ٨١ .

(٦) المقريزى ، المصدر السابق ، ص ١٩٣ .

(٧) المصدر السابق ، ص ١٩١ .

(٨) المصدر السابق ، ص ١٩٣ .

وقاومت فيها أيضا ظروفا قاسية ، كان لها تأثيرها الكبير عليها

الحياة الإقتصادية فى ضوء الاكتشافات الاثرية الحديثة :

أشارت المصادر التاريخية إلى ما كانت عليه الحالة الاقتصادية فى بلاد النوبة ، وقد اتفقت معها ملاحظات المنقبين عن الآثار فيما يتعلق بالعوامل التى أثرت على ازدحام بعض المناطق بالسكان دون البعض الآخر ، ففى المريس حيث تنحصر مواضع الخصب فى مواقع قليلة تختلف فى اتساعها على جانبى النيل ، تمت زراعة أنواع قليلة من المحاصيل ، كما اعترض مجرى النيل عدد من الجزر كثر بها شجر النخيل ، وبعض حدائق الكروم . وكانت المنطقة الواقعة بين دنقلة وحدود علوة فى مملكة مقرة أكثر جهات هذه المملكة خصوبة ، وكثرت بها قطعان الماشية[١].

أما مملكة علوة فكانت مناطقها الخصبة أكثر اتساعا ، وإن لم تستغل استغلالا كافيا فى زيادة محاصيلها[٢]. وأثبتت أعمال التنقيب الأثرية أن أغنى أجزاء النوبة السفلى كانت بين الدروتوشكى ، وكذلك المنطقة الواقعة حول الدكة[٣]، وبين فرس والشلال الثانى[٤].

ولاشك أن مناطق الخصب كانت مناطق جذب للسكان ؛ غير أن الفيضانات العالية كان لها تأثيرها فى هجرة قرى بأكملها بعد غرق الحقول ، وكذلك الحال نفسه مع حدوث نقص شديد فى مياه النيل . ومثلت الكثبان الرملية تهديدا مستمرا بطول الشاطئ الغربى للنيل ، حيث لابد أن السكان قد اضطروا إلى هجرة أراضيهم الزراعية تحت تأثير زحفها[٥]. وتشهد على تأثير

---

(١) المقريزى ، المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٣ .

(٣) إمرى ، مصر وبلاد النوبة ، ص ٤٠ .

(٤) Bruce, G. Trigger, The Cultural Ecology of Christian Nubia. Nubische Kunst, p.350.

(٥) Ibid., p.353.

هذه الرمال تلك الكميات الكبيرة منها ، والتى كان على منقبى الآثار ازالتها عند تنظيفهم لبعض المواقع[١].

ومن المناطق التى اشارت عمليات التنقيب إلى ارتفاع مستواها الاقتصادى وكثافتها السكانية جنوب فرس غرب ، وقرية سره غرب. على بعد حوالى عشرة كيلو مترات جنوبى الحدود السودانية مع مصر[٢]. ومن الشواهد الدالة على ذلك ما عثر عليه من بقايا منازل وأفران للخزف وجبانات ، والحالة كذلك فى دبيرة غرب[٣]، كما تشير أغلب الجزر التى تم فحصها إلى احتلال السكان لها بصورة مستمرة[٤].

كذلك عمل أهل النوبة بالتجارة ، وكانت تجارتهم مع مصر والبلدان الأخرى تتم عبر منافذ عديدة ، منها جزيرة بلاق التى كانت تبعد بمقدار أربعة أميال عن أسوان ، وكانت تنتهى إليها النوبة وسفن المسلمين ، ومنها طرق القوافل ، والموانى الواقعة على البحر الأحمر ، ومنها باضع وعيذاب وسواكن[٥]، حيث تم تصدير منتجات النوبة ، كسن الفيل وريش النعام والماشية والعنبر والمسك ، وتم استيراد المنتجات المصنوعة كالمنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية[٦]، وكذلك الأسلحة والخيول والمواد الغذائية المختلفة . ومثلت تجارة الرقيق جانبا مهما من ذلك النشاط ، وعمل بعضهم جوارى أو حاضنات ،والبعض الآخر خدما ، غير أن الاغلبية كانت تتخذ جندا ،، وبخاصة فى مصر ، حيث عين منهم اربعون ألفا فى جيش أحمد بن طولون[٧]، وازداد عددهم فى العصرين الاخشيدى والفاطمى . ولم تكن مصر

(١) Simpson, W.K., Toshka- Arminna, Brief Preliminary Report, Fouilles en Nubie I, p.43.

(٢) Verwers, G.J., Kush X, pp.21 f.

(٣) Ibid., pp.28 f.; Shinnie, Kush XII, p. 212; id., Kush XIII, p.190.

(٤) Adams. W.Y., and Hans Nordstrom, Kush XI, p.10.

(٥) صلاح الدين الشامى ، الموانى السودانية ، ص ٧٣ و٩١ و١٠٧ .

(٦) زاهر رياض ، مصر وافريقيا ، ص ٧٤ و٨٠ .

(٧) المقريزى ، المصدر السابق ، ص ٣١٥ .

هى المستورد الوحيد لهؤلاء العبيد بل كانت الحجاز سوقا لهذه التجارة(١). ومن المرجح أن أغلب هؤلاء العبيد قد تم إحضارهم من البلدان الواقعة جنوبى بلاد النوبة(٢).

وبرغم أن كثيرا من المواد التى تم استيرادها ليس من النوع الذى يترك أثرا يمكن العثور عليه خلال أعمال التنقيب ، فان ثمة شواهد تشير إلى هذا النشاط مع مصر بصفة خاصة ، ومن ذلك ما ذكر عن استيراد الخمر فى امفورات كبيرة ، وكذلك استيراد أنواع عديدة من الخزف . كما أمدتنا حفائر قصر أبريم ببعض نماذج للملابس التى تم استيرادها من مصر ، ومنها ما يوجد عليه شريط الطراز ، واستخدم اكفانا فى المقابر المسيحية المبكرة(٣).

وتشير الحفائر الاثرية فى بعض المناطق مثل كلابشة وساباجورا وربما فى فرس كذلك إلى بناء مدن ذات أسوار ، ربما اتخذت كمحطات عبر طرق القوافل . وعلى أية حال فمن الواضح أن المنقبين لم يضعوا الأمور الاقتصادية وما يتعلق بها نصب أعينهم أثناء عملهم(٤).

ولابد أن اقتصاد النوبة قد اعتمد لفترة على استخراج الذهب وبعض المعادن الأخرى كالحديد من مناجم النوبة ذات الشهرة القديمة .

كذلك مارس النوبيون بعض الحرف والصناعات كالبناء والنحت والزخرفة ، ولعل صناعة الفخار والخزف هى أهم ما يمكن اثباته بالدليل الأثرى ، فقد اكتشفت أفران خزف كثيرة فى فرس غرب وسره غرب ودبيره شرق وأرجن وجزيرة دباروسا وجزيرة عبكه وجماعى غرب(٥)، وبنيت هذه

---

(١) يوسف فضل حسن ، دراسات فى تاريخ السودان ، المعالم الرئيسية فى الهجرة العربية إلى السودان ، ٣٦ - ٣٧ .

(٢) Ivan Hrbek, Egypt, Nubia and the Eastern Deserts, p.70.

(٣) Elisabeth Crowfoot, Textiles finds from Qasr Ibrim A Preliminary Note, In Plumley, Qasr Ibrim 1976, JEA 63, pp.46 f.

(٤) Bruce G. Trigger, Op.Cit., pp 356 f.

(٥) Adams, Pottery Kiln Excavations, Kush X, pp.62-75.

الأفران بالطوب اللبن ، وعثر بها على كميات كبيرة من القطع ومن أدوات الصناعة والمواد الخام وتمثل القطع التى عثر عليها المراحل المختلفة للصناعة(١).

وأنتجت هذه الأفران من الخزف نوعا ذا بطانة فاتحة ، ومنه أطباق وقدور صغير ، ونوع يتميز بسمك جدارنه ، ودهانه بطبقة من البطانة البرتقالية اللون ، ثم طلائه ، ومنه أشكال مختلفة ذات قواعد مستديرة ، ونوع مصقول ذو بطانة حمراء ، ونادرا ما يحتوى على زخرفة ملونة . ومن الأوانى التى تم انتاجها أيضا نوع من الفخار الاحمر السميك ، وأغلبه أمفورات ، وجرار لها فوهات واسعة ، وأوانى طهى ومسارج صغيرة(٢).

الحياة الدينية والنظام الكنسى فى ضوء الاكتشافات الأثرية الحديثة :

على الرغم من أن اعتناق النوبيين للمسيحية لم يكن نابعا عن فهم عميق لها ، وعلى الرغم أيضا من عدم ظهور علماء متخصصين فى الدين منهم ، فإن الكنيسة النوبية - كما يبدو - تمتعت بسلطة كبيرة فى البلاد نبعت من ارتباطها الوثيق بسلطات الدولة ، وقد سبقت الاشارة إلى قيام حكام الأقاليم بوظائف كهنوتية إلى جانب أعمالهم الإدارية كذلك تشير النقوش الأثرية إلى قيام الأساقفة ورجال الدين من القسوس والشمامسة والمرتلين بمهام إدارية مدنية(٣)

وتجلى النظام الكنسى فى بلاد النوبة فى وجود خمس عشرة أسقفية ، سبع منها فى مملكة مقرة وهى : كلابشة وقورته وأبريم وبخورس (بخراس - فرس) وساى ودنقلة وشنقير (قرب أبو حمد) ، واثنتان لم يتم التحقق من موقعهما هما : مركه Mirka وكلمه Kallama والأسقفية الوحيدة التى يعرف تاريخ

(١) Dunbar, Betwixt Egypt and Nubia, p.112; Abams, The Christian Potteries at Faras, Kush IX, pp.33-37; Verwers, Kush X, p.30.

(٢) Adams, op.cit., p.40

(٣) Monneret De Villard, Storia, p.167.

نقلا عن مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ٩٣ .

Jakobielski, Bishopric, pp.41 f; Vantini, G., Christianity in Medieval Nubia, p.21.

تأسيسها بعد الاكتشافات الحديثة هى أسقفية فرس ، وترجع أقدم مادة خاصة بأسقفية دنقلة إلى القرن الثامن ، وإلى القرن التاسع ترجع أقدم مادة عن أسقفية قورته[١].

أما أسقفيات علوة فهى : بوره (قوزيره) وقاقاره ومرتين وأروردياس وبنازى ومكنسه وكلها على حوض النيل[٢].

وكان للاكتشافات الاثرية الحديثة فضل كبير فى الحصول على مادة غزيرة تتعلق باسقفية فرس واسقفية ابريم . ومن أهم الاكتشافات المتعلقة بأسقفية فرس قائمة بأسماء أساقفتها (ملحق رقم ٢) . وقائمتان بأسماء بعض قسوس وشمامسة كاتدرائيتها[٣]. أما قائمة الأساقفة فقد عثر عليها فى حنية بالجدار الشرقى لما سمى بغرفة الأساقفة فى الركن الجنوبى الشرقى من كاتدرائية فرس ، وسجلت إلى يمين تصويرة للمسيح فى وسط الجنية ، وكتبت القائمة بالمداد الأسود ، وقسمت رأسيا إلى خمسة أعمدة ، وفى النصف السفلى منها أضيف عمود سادس ، وسجل فى هذه الأعمدة اسم الأسقف وعدد السنوات التى تولى خلالها الأسقفية ويوم وشهر وفاته ، وإن لم تسمح الحالة التى وجدت عليها القائمة بمعرفة كل هذه المعلومات عن الأساقفة ، كما أن سنة الوفاة لم ترد بأى من هذه الأعمدة .

وتضم القائمة سبعة وعشرين اسما لأساقفة فرس ، إلا أن الكاتب ترك فراغا بعد ذكر إسم الأسقف الثانى والعشرين ، وهذا الفراغ خاص باسم الأسقف ماريانوس وقد كشفت حفائر بلملى فى قصر أبريم عن سبب إغفال كتابة إسم

(١) Vansleben J.M., Histoire de L'Eglise d' Alexandrie Fondée Par Saint Marc, Paris 1677, pp.20-30; cf. Jakobielski, Bishopric, p.27; Vantini, Op.cit., pp.20 f.

(٢) الشاطر بصيلى عبد الجليل ، المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

(٣) Jakobielski, Bishopric Annexe I, pp.190-201, Figs. 69 and 71

كما توجد إشارات أخرى لقائمة الأساقفة فى :

Michalowski, Kush XI, p.240; id., Kush XII, pp.196 and 202, pl. XL, b.

هذا الأسقف فى قائمة فرس ، وذلك عندما عثر على شاهد قبره الذى سجل فيه تاريخ وفاته وهو سنة ١٠٣٦[١]، ولا يعرف سبب دفنه فى أبريم ، وعدم نقل جثمانه إلى فرس ، ومن المحتمل أنه كان منفيا كما يرى بلملى[٢].

وإذا كانت القائمة قد انتهت بذكر الأسقف الثامن والعشرين ، فإن اسقفية فرس لم ينته وجودها بنهاية هذه القائمة ، إذ ورد فى شاهد قبر عثر عليه بالقرب من كنيسة Nabindiffi بفرس سنة ١٨٢٠ – إسم تامر Tamer أسقف بخورس ، الذى توفى فى سنة ١١٩٣ م . ولاشك فى أن مقره لم يكن فى كاتدرائية فرس بعد أن تحطمت . ويرجح جاكوبوليسكى أن هذا الأسقف لم يكن اخر أساقفة فرس ، وذلك بسبب العثور على بعض المقابر التى تحتوى على بعض المتعلقات الخاصة بالأساقفة مع رفات أصحابها ، ومن المؤكد أنهم لم يتخذوا الكاتدرائية مقرا لهم بعد انتهاء القائمة عند الاسم الثامن والعشرين[٣].

ولا تمدنا قائمة الأساقفة بمعلومات عن السنوات التى تولى فيها الأساقفة الأربعة الأوائل مناصبهم ، أما الأسقف الخامس وهو بولس فمن المعروف أنه أعاد تشييد الكاتدرائية فى سنة ٧٠٧ م ، وبحساب متوسط السنوات التى تولى الأسقفية خلالها كل أسقف من أساقفة فرس منذ بداية القرن الثامن حتى القرن الثانى عشر الميلادى تقريبا ، يصل جاكوبوليسكى إلى أنه يبلغ ثمانى عشرة سنة ، وعلى هذا تكون بداية أسقفية فرس فى حوالى نهاية الربع الأول من القرن السابع الميلادى[٤].

وساعد اكتشاف عدد كبير من شواهد قبور أساقفة فرس على معرفة تاريخ وفاة كثير منهم ، وكان لهذه المعرفة أثر كبير فى تحديد مراحل تطور فن التصوير على الجدران بالكاتدرائية ، وفى تأريخ تصاوير عديدة .

---

(١) Plumley, Qasr Ibrim, 1966, JEA 52, p.II, PI.IV, 5,

(٢) Plumley, Some Examples of Christian Nubian Art and Culture, p.131.

(٣) Jakobielski, Bishopric, pp.166 f

(٤) Ibid., pp.27 f

أما قائمة القسوس[1] فقد دونت على الجدار الجنوبى للغرفة الصغيرة الواقعة إلى الشمال من حنية الشرقية بالكاتدرائية ، والنقش بمداد أسود ، وبه نص من أحد عشر سطرا يتضمن اسماء أحد عشر قسا من القرن العاشر الميلادى . ومن المحتمل أن هذه القائمة قد دونت بيد نفس الخطاط الذى سجل قائمة الأساقفة المجاورة لها[2].

وكانت لأسقفية أبريم أيضا كاتدرائية كبيرة . وتفسر اللفافات التى عثر عليها فى أبريم ما حدث بعد تحطيم كاتدرائية فرس فى نحو نهاية القرن الثانى عشر ، وانتهاء قائمة فرس عند الاسم الثامن والعشرين ، إذ أضاف الأساقفة فيها إلى ألقابهم منذ القرن الرابع عشر منصب أسقف بخورس ، وجمعت أبريم بين الإدارة المدنية والدينية للنوبة الشمالية[3].

وكان شاهد قبر ماريانوس – الذى سبق أن اشرت إليه – أحد خمسة شواهد عثر عليها ترجع إلى الفترة الواقعة بين سنة ١٠٣٦ وسنة ١١٣٢م ، كذلك عثر على شاهد قبر آخر باسم بطرس ، ويرجح رجوعه إلى هذه الفترة ، ونصوص هذه الشواهد باللغة اليونانية ، وبواحد منها سطور باللغة النوبية[4].

ومن أهم ما كشفت عنه الحفائر فى قصر أبريم سنة ١٩٦٤ قبر لأسقف يدعى تيموثيوس ، تحت مدخل القبو الشمالى بالكاتدرائية ، وعثر فى هذا القبر مع جثمان الأسقف على لفافتين من البردى ، كتب فى إحداهما باللهجة البحيرية للغة القبطية ، وفى الأخرى باللغة العربية وثيقة رسامة تيموثيوس أسقفا لأبريم وفرس وتاريخ سنة ١٣٧٢ م ، بدلا من أثناسيوس الأسقف المتنيح ، وذلك على يد البطريرك غبريال الرابع فى القاهرة[5].

---

(١) Ibid., Fig.71.

(٢) Ibid., p.199.

(٣) plumley, J.M., Qasr Ibrim, JEA 50, P.3; id., Some examples of Christian Nubian Art ..., Nubische Kunst, p.129.

(٤) Ibid., p.131.

(٥) Plumley, J.M., JEA 50, pp.3 f; id., New evidence.., Nubia Christiana, Tom I, pp.19 f; Emery, Actes du II Symposium, p.105.

ومن الواضح أن هذه الأسقفية لم ينته وجودها بموت الأسقف ، والدليل إلى هذا ما سبق أن ذكر عن مركى أسقف ابريم فى سنة ١٤٦٤ م ، أى فى الوقت الذى كانت فيه السيادة للإسلام على هذه الجهة .

وتشير المصادر التاريخية وأخبار الكنيسة فى النوبة ومصر إلى أن المسيحية فى النوبة بعد الفتح الاسلامى لمصر كانت على مذهب الكنيسة المصرية المونوفيزيتى[١]، فقد اعتبرت الكنيسة القبطية مسيحى النوبة جزءا لا يتجزأ من كرسى الاسكندرية[٢]، ومن هنا كان إمدادها لهم بالأساقفة ويذكر كاتب سيرة الانبا كيرلص البطريرك السابع والستين فى تاريخ البطاركة أن هذا البطريرك كان بقضى أكثر أوقاته فى كنيسة ميكائيل بجزيرة مصر فى الموضع المعروف بالمختارة ، مقيما فى الجوسق الذى بها ، وذلك لكثرة الرسل القادمين إليه من بلاد الحبشة والنوبة والعائدين إليها ، وحاجة السلطان إلى حضوره لديه كثيرا ، مما كان له أثره فى حرمانه من تحقيق رغبته فى أن يكون مقامه بالريف[٣]. كما يشير البطاركة أيضا إلى مراعاة حكام مصر لهذه العلاقة بين الكنيسة المصرية والنوبة ، ومعاملتهم للبطاركة من منطلق هذه المسئولية[٤].

وتشير بعض الأحداث إلى اعتبار ملك مقرة مسئولا عن حماية بطريرك الكنيسة المصرية ، ومن هنا كان تدخله لصالح هذا البطريرك كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، وتمثل تدخله هذا فى محاربة ولاة مصر أو فى تاخير البقط ، ومن ذلك ما تزعمه بعض المصادر من قيام قرياقوس ملك النوبة على رأس مائة ألف رجل بغزو مصر ، ووصوله إلى الفسطاط لإطلاق سراح الأنبا ميخائيل البطريرك السادس والأربعين – وذلك فى حوالى نهاية النصف الأول من القرن الثامن الميلادى – الذى ألقى به والى مصر فى السجن[٥].

---

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ١٩٣ .

(٢) Meinardus, O., Christian Egypt faith and life, p.399.

(٣) تاريخ البطاركة ، مج ٢ ، جـ٣ ، ص ٢١٠ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

(٥) أبو المكارم ، ص ١٢٢ – ١٢٣ .

ويرى جاكوبوليسكى أن سجن البطريرك لم يكن هو الدافع الوحيد وراء هجوم ملك النوبة على مصر ، إنما كانت حالة الضعف التى أصابت الدولة الاسلامية بعد صراعاتها مع بيزنطة ، والضرائب التى أثارت الأقباط فى مصر فى ذلك الوقت ، إلى جانب استعراض النوبة لقوتها العسكرية هى الأسباب الرئيسية التى دفعت النوبة للقيام بهذا الغزو[1].

وبرغم اجتهاد جاكوبوليسكى فى تبين أسباب هذه الحملة ، فإن ما يرجح هو أن قيام ملك النوبة بها – كما يرى ميناردوس – مجرد اختراع من مؤرخى سير الآباء البطاركة لإبراز بطولة بطاركتهم وحماية النوبة لهم[2]. غير أن هذه العلاقة تتأكد بصورة أخرى من خلال أحداث أخرى كوساطة الأنبا يوساب بطريرك الاسكندرية لإنهاء الخلاف بين زكريا بن يحنس ملك النوبة والخليفة المعتصم حول البقط ، كذلك وساطة جورج الثانى ملك النوبة بين ملك الحبشة والأنبا فيلاثاوس بطريرك الاسكندرية (٩٧٠ – ٩٩٥ م) لكى يشمل البطريرك الكنيسة فى الحبشة برعايته بعد أن أهملها ستة من البطاركة قبله ، وقد أثمرت هذه الوساطة عن تكريس مطران لهم[3].

وتؤيد الاكتشافات الأثرية انتشار المذهب المونوفيزيتى فى بلاد النوبة ، إذ لاحظ آدامز حدوث تغيير عام فى تخطيط الكنيسة وبنائها بصورة تتفق مع ما تمت الاشارة إليه من اعتناق المذهب المونوفيزيتى فى النوبة كلها فى بداية القرن الثامن الميلادى . ويتمثل هذا التغيير فى زيادة حجم الهيكل وحجبه عن المصلين بحواجز (أحجبة) من الطوب ، بعد أن كان هذا الهيكل صغيرا وبسيطا على الرغم من زيادة مساحة الكنيسة ، وينفصل عن المصلين بسياج خشبى ، ولم يكن به درج للكهنوت Tribune[4].

وتعنى هذه الملاحظات فى الوقت نفسه وجود المذهب الملكانى بالدليل الأثرى قبل القرن الثامن ، غير أن ما يضعف هذا الافتراض أنه فى ذلك الوقت

(١) Jakobielski, Bishopric, pp.52 and 67.

(٢) Meinardus, O., op.cit., p.413.

(٣) تاريخ البطاركة ، مج ٢ ، جـ٢ ، ص ١١٣ – ١١٤ .

(٤) Adams, W.Y., JEA 51, p.172.

ومنذ اعتناق المسيحية لم تكن التقاليد المعمارية التى يمكن نسبتها إلى مذهب معين قد أرسيت ، وحتى فى مصر كان المذهبان يتنافسان فى ممارسة السيادة على نفس الكنيسة أو الدير[١]، وظلت السمات المعمارية لهذه الابنية الدينية فى ظل سيادة أى من الفريقين دون تغيير[٢].

وهناك إشارات أخرى إلى وجود المذهب الملكانى فى بعض الفترات فى بلاد النوبة ، إذ تشير قائمة الأسقفيات الملكانية المدونة فى سنة ١٣١٦ م إلى أسقفية مريس ومطرانية نوبة ، كما تشير بعض المصادر إلى أسقفية ملكانية فى تافه[٣].

ويربط جاكوبوليسكى بين أحوال الكنيسة فى النوبة وأحوالها فى مصر فى عهدى العزيز والحاكم لاثبات وجود اساقفة ملكانيين بين أساقفة فرس ، فمن المعروف أن نفوذ الملكانيين قد ازداد فى مصر فى عهد العزيز بالله (٣٦٥ — ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ — ٩٩٦ م) بسبب زواجه من سرية رومية ملكانية المذهب أنجبت له (ست الملك) أخت الحاكم بأمر الله (٣٨٦ — ٤١١ هـ / ٩٩٦ — ١٠٢٠ م) ، وعين العزيز أحد اخويها بطريركا لبيت المقدس ، والاخر بطريركا على القاهرة ومصر ، ومن هنا كان استبداد الطائفة الملكانية فى البلاد[٤].

ويلاحظ أنه فى السنة التى توفى فيها الخليفة العزيز بالله (٩٩٦ م) وجد أسقفان فى فرس ، وهى حالة فريدة ، فلم يحدث ان تولى اسقفان كرسيا واحدا فى وقت واحد فى الكنائس الشرقية . وتفصيل ذلك أن بطرس Petros الأسقف الحادى والعشرين بقائمة أساقفة فرس وهو مونوفيزيتى كان لا يزال حيا فى الوقت الذى عين فيهيؤانس Yoannesلأسقف الثانى والعشرين ، وكانت أسقفيته من سنة ٩٩٧ إلى ١٠٠٥ م . وورد فى شاهد قبربطرس — الذى عثر عليه بقرب الكنيسة الواقعة على المنحدر الجنوبى للكوم — أنه توفى فى سنة

(١) تاريخ البطاركة ، مج ٢ ، جـ٢ ، ص ١١٣ .

(٢) Jakobielski, Bishopric, p.34.

(٣) Ibid., p. 145; Michalowski, The Spreading of Christianity in Nubia, P.334.

(٤) تاريخ البطاركة ، مج ٢ ، جـ٢ ، ص ١١٣ .

٩٩٩ م . بعد أن تولى منصبه لمدة خمسة وعشرين عاما من سنة ٩٧٤ م إلى سنةوفاته ، وبهذا يتبين لنا أنهما اشتركا فى تولى منصب الأسقفية من سنة ٩٩٧ إلى سنة ٩٩٩ م ، وإن كان يؤانس قد اتخذ الكاتدرائية مقرا له ، بينما انتقل بطرس إلى كنيسة المنحدر الجنوبى[٢]، وعلى هذا فمن المرجح ان يؤانس كان أسقفا ملكانيا أتى خلال الفترة التى تمتع فيها الملكانيون بالنفوذ فى مصر ، وتولى بعده أسقفان آخران يرجح أنهما ملكانيان أيضا بسبب الاشارة إلى كل منهما باعتباره ابنا روحيا لسلفه وهما :

١ — ماريانوس Marianos الأسقف الثالث والعشرون الذى سبق أن اشرت إلى شاهد قبره فى قصر ابريم ، وهو منقول من أسقفية بابليون بعد أن أمضى فيها عامين من سنة ١٠٠٣ إلى ١٠٠٥ م ، وتولى أسقفيته فى بلاد النوبة من سبتمبر سنة ١٠٠٥ إلى ١١ نوفمبر سنة ١٠٣٦ م .

٢ — مرقوريوس Merkurios الأسقف الرابع والعشرون ، وتولى منصبه من سنة ١٠٣٧ إلى أول يوليه سنة ١٠٥٦ م .

وكانت الفترة الممتدة من صيف ١٠٥٦ إلى ربيع ١٠٥٨ م فترة شغور . وفى ربيع ١٠٥٨ م تبدأ عودة الأساقفة المونوفيزيتيين ، ولعل هذه الفترة كانت فترة نزاع تمكن بعدها المونوفيزيتيون من العودة إلى أسقفيتهم . ومن حوالى سنة ١١٢٥ — ١١٣٠ م يتولى الأسقف عيسو الثانى Iesu II منصبه ، وذلك حتى حوالى سنة ١١٧٠ — ١١٧٥ م ، وهو الأسقف الثامن والعشرون ، ويرى جاكوبوليسكى انه أسقف ملكانى ومن المحتمل فى رأيه أيضا أن الأسقف السابع والعشرين وهو خائيل الثانى Chael II كان ملكانيا ، وتولى من حوالى سنة ١٠٩٧ إلى حوالى ١١٢٥ — ١١٣٠ م . وكذلك كان الأسقف تامر Tamer الذى تنيح فى الحادى والثلاثين من مارس فى سنة ١١٩٣ م على الأرجح[٢].

---

(١) Jakobielski, Op.Cit., P.146.

(٢) Ibid., pp.206-211.

وبعد فمن الواضح أن عدم وجود اختلافات طقسية أو لاهوتية واضحة المعالم فيما تم اكتشافه من نقوش قد فتح المجال أمام كثير من الافتراضات والترجيحات القائمة على أدلة غير قاطعة فيما يتعلق بالمذهب الذى ينتمى إليه هؤلاء الأساقفة ، ومن ذلك ما يراه ميخالوفسكى من اختلاف فى أزياء رجال الدين بالكنيسة المونوفيزيتية عن أزياء رجال الدين بالكنيسة الملكانية ، ويتمثل هذا فيما يسمى بالشملة ، التى تلف خلف الرأس وحول الرقبة عند المونوفيزيتيين ، ، كما يرى فى تصويرتى الأسقف كيروس Kyros (٨٦٦ — ٩٠٢ م) والأسقف بطرس (٩٧٣ — ٩٩٩ م) ، والتى لا يوجد لها اثر فى تصويرة الأسقف ماريانوس (١٠٠٥ — ١٠٣٦ م) على سبيل المثال . كما يشير ميخالوفسكى إلى بعض الموضوعات الممثلة فى فرسكات فرس خلال أسقفية يؤانس وخلفه باعتبار أنها تميز الأفكار الديوفيزيتية فى المذهب الملكانى[١]. ويلقى هذا الرأى معارضة شديدة من Martin Krause الذى يلاحظ أن الموضوعات التى يستند إليها ميخالوفسكى يوجد مثيلها فى الكنائس المونوفيزيتية المصرية ، ويقرر أن الكنيسة فى النوبة كانت مونوفيزيتية من البداية إلى النهاية[٢].

ورغم وضوح هذه السيادة للمذهب المونوفيزيتى ، فإن البعض يحتكم إلى حجم النقوش المدونة بكل من اللغتين اليونانية والقبطية لمعرفة أى من المذهبين كانت له الغلبة[٣]. ومن المعروف أن اللغة اليونانية كانت لغة كبار رجال الدين فى الكنيسة ، والذين عرفوا اللغة القبطية أيضا ، واللغة الأخيرة هى التى تحدث بها اللاجئون إلى النوبة من الأقباط ، وتعلمها النوبيون فى الأديرة والكنائس . وكانت النصوص التأسيسية والأدعية على شواهد القبور بهاتين اللغتين . أما اللغة النوبية فقد انتشرت بين عامة الناس ، وبعد اتخاذها الشكل المكتوب فى

---

(١) Michalowski, Open Problems of Nubian Art... p.14.

(٢) Martin Krause, Zur Kirchen- und Theologiegeschichte Nubiens, Neue Quellen und probleme. Nubische Kunst, PP.71-85, "English Summary PP. 85 f",

(٣) Jakobielski, Bishopric, P.17.

فترة لاحقة ترجمت إليها بعض المخطوطات ، وسجلت بها نقوش كثيرة على جدران كاتدرائية فرس وغيرها ، ورغم هذا تبرز تساؤلات عديدة وهى[١]:

هل كان استخدام اللغة القبطية وحدها أمرا الزاميا فى الطقوس المونوفيزيتية ؟ وهل كان استخدام اللغة اليونانية قاصرا على الطقس الملكانى وحده ؟ وما الدور الذى لعبته اللغة النوبية فى طقوس الكنيسة بالمذهبين ؟

ورغم ما تم من اكتشافات فإنه ليس من اليسير تقديم اجابة واضحة عن هذه التساؤلات ، فوجود اللغة اليونانية فى النوبة كان أمرا طبيعيا لصلة هذه البلاد بالبيزنطيين ومن قبلهم البطالمة والرومان ، ولاشك أن انتشارها قد زاد مع التبشير بالمذهب الملكانى فى مقرة[٢]، وربما أبقت الكنيسة المونوفيزيتية فى أول عهدها على هذه اللغة فى الاستخدام الطقسى كما كانت الحال فى مصر فى القرون الأولى[٣]، ثم كان استخدام هذه الكنيسة للغة القبطية بعد ذلك فى الاستخدامات الطقسية ، وتدل على ذلك أجزاء من إنجيل مخطوط باللهجة الصعيدية عثر عليها فى أرضية الرواق الاوسط والبلاطة الشمالية بكنيسة عبد الله نرق ، ويرجح رجوع هذه الأجزاء إلى القرن التاسع أو العاشر الميلاديين[٤]. وكانت اللغة القبطية كما ذكرت لغة اللاجئين إلى النوبة من مصر فرارا من الاضطهاد الدينى ، ومع انتشارها عن طريق القوافل التجارية وارتباط كنيسة النوبة بكنيسة الاسكندرية – أصبحت لغة رسمية إلى جانب اللغة اليونانية . ومما يلاحظ أن استخدامها كان – رغم انتشاره فى الوثائق الرسمية والدينية[٥]

---

(١) Michalowski, Op. it., P. 17.

(٢) Jakobielski, Some remarks on Faras inscriptions, P. 32; id., Inscriptions In "Michalowski, Faras, Wall-Paintings, P.279.

(٣) Gadallah, F.F., The Egyptian contribution to Nubian Christianity, SNR XL, p.42; Jakobielski, Bishopric p.15.

هذا وكشفت حفائر جمعية التنقيب عن الآثار المصرية فى قصر أبريم عن أجزاء من إنجيل يونانى للقديس مرقس يرجع فى الغالب إلى عصر جستنيان . أنظر :

Plumey, J.M., New evidence.., P.18.

(٤) Moorsel. The central church of Abdallah Nirqi,PP.20-21

(٥) يرى ذلك فى نقش إيربانم الذى يرجع إلى حوالى سنة ٥٥٩ م ، وشواهد قبور عديدة ، انظر :
Griffith, LAAA XIV, PP.70, 74-76 and 80. =

استخداما صحيحا دون اخطاء لغوية أو إملائية ولعل ذلك يرجع إلى اختيار كاتب لديه المقدرة على كتابتها بصورة صحيحة ، وإلى الحرص على تعليمها فى الأديرة ، كما تشير النقوش القبطية المدرسية على جدران كاتدرائية فرس[1].

ورغم شيوع هاتين اللغتين فان اللغة النوبية القديمة كانت لغة الحديث بين عامة النوبيين ، ويرجع أقدم نموذج منها إلى سنة ٧٩٥ م فى وادى السبوع ، ويحتوى على صلوات لأحد قساوسة فرس ويدعى بطرس[2]. كما عثر على شاهد قبر دونت نقوشه بهذه اللغة فى كنيسة الاعمدة الجرانيتية بدنقلة العجوز مؤرخ بسنة ٧٩٧ م . وتضم هذه اللغة بالصورة التى ظهرت عليها هذه النصوص كلمات قبطية ويونانية وحروفا من اللغتين تؤكد استخدامها فى الكتابات الكنسية ، وترجمة أجزاء من القداس ، وفى الحديث عن بعض المعجزات التى تنسب إلى القديس مينا[3]. وتؤكد إشارة أبو المكارم إلى أن الملك سلمون قد خط كتابا بالقلم النوبى[4] شيوع استخدام هذه اللغة فى تدوين المخطوطات ، وهو أمر كشفت عنه الحفائر الحديثة فى قصر أبريم ، إذ عثر فى هذا الموقع على اجزاء كثيرة من مخطوطات باللغة النوبية القديمة منها تسع لفافات من الجلد عثر عليها داخل قدر تحت درج منزل[5].

= ومن هذه الشواهد تلك التى اعتمد عليها جاكوبيلسكى فى دراسته لأسقفية فرس ، كما تتمثل هذه الوثائق فى بعض النصوص المصاحبة للتصاوير فى كاتدرائية فرس ، أنظر :

Jakobielski, Bishopric, PP.58, 132 - 134; id., Inscriptions, pp.280,295

وفيما عثر عليه من نصوص دينية قبطية ترجع إلى سنة ٧٣٨ م على جدران مغارة الناسك بيد الراهب ثيوفيلوس ، أنظر :

Griffith, LAAA XIV, PP.42-90. pls. LXII-LXXII,

(١) Jakobielski, Bishopric, P.15.

(٢) Griffith, LAAA XIII, P.53.

(٣) Budge, W., Text relating to Saint Mena of Egypt and Canons of Nicaea in a Nubian dialect With facsimile.

(٤) أبو المكارم ، ص ١٢٤ – ١٢٥ .

(٥) Plumley, Qasr Ibrim. JEA 50, P.5. pl. II, 2; Emery, Actes du II Symposium, P. 105.

وفيما يتعلق باستخدام هذه اللغة فى الطقوس الدينية بعلوة فإنه من الملاحظ ندرة الشواهد الأثرية الدالة على ذلك ، غير أن ابن سليم يذكر أن أهل علوة قد ترجموا الطقوس الدينية إلى اللغة النوبية[1]، فى نفس الوقت الذى توجد فيه إشارات أخرى إلى استخدام اللغة اليونانية فى هذا الغرض[2].

ومهما يكن من أمر فان الشواهد الدالة على غلبة المذهب المونوفيزيتى فى كنائس النوبة كثيرة ومتعددة سواء من الناحية التاريخية أو اللغوية أو الفنية .

---

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ ، ١٩٣ .

(٢) مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ٩٦ .

الفصـــل الرابع

انتشار الإسلام وانهيار الممالك المسيحية فى النوبة

- الهجرات العربية وانتشار الإسلام
- الحملات المملوكية وسقوط الممالك النوبية
- العصر المسيحى المتأخر

الفصـــل الرابع
انتشار الإسلام وانهيار الممالك المسيحية فى النوبة

الهجرات العربية وانتشار الإسلام :

ترجع صلة العرب ببلاد النوبة إلى ما قبل ظهور الاسلام بقرون عديدة ، إذ شهدت المنطقة هجرات مبكرة عبر البحر الأحمر ومصر التى شقوا طريقهم إليها عبر سيناء أيضا . واتخذت هجرة العرب من الجزيرة العربية إلى الشاطئ الغربى للبحر الأحمر شكل حملات عسكرية قام بها الحميريون شرق بلاد النوبة ، وتركت هذه الحملات فى هذه المناطق جماعات سعت إلى الاستقرار حتى إذا ما تحقق لها بعثت فى طلب فروعها للإقامة معها[1] وكانت التجارة من أهم وسائل اتصال عرب الجزيرة بالمنطقة والتعرف عليها ، ونشطت هذه الحركة فى عهد دولتى معين وسبأ فيما بين سنة ١٥٠٠ ق . م وسنة ٣٠٠ ق . م[2]، واستطاع عدد كبير من الحميريين التوغل إلى داخل البلاد ، والاستقرار فيها ، وذلك فى القرنين السابقين للميلاد[3]. واستمرت هجرة الحميريين وحملاتهم إلى بعض مناطق النوبة فى العصور المسيحية ، واستقر أيضا الحدارب وهم الحضارمة أى سكان حضرموت بين البجة فى القرن السادس الميلادى[4]، وتمكن هؤلاء الحضارمة من خلال زواجهم ببنات زعماء البجة ونظام الأمومة فى وراثة العرش من تولى زعامة قبائل البجة واكتسب الحضارمة بوجودهم فى هذه المنطقة الشخصية البجاوية ، وتعلموا لغتها وعاداتها واعتنقوا الدين المسيحى ايضا[5].

---

(١) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ١ ، ص ٧٨ ؛ عبد الشافى غنيم عبد القادر ، البحر الأحمر طريقا للدعوة الإسلامية « ندوة البحر الأحمر » ص ٧٩ .

(٢) Mac Michael, A History of the Arabs in the Sudan, Vol. I,PP.3-4.

(٣) مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ص ١٠٧ — ١٠٨ .

(٤) عبد المجيد عابدين ، نظرات عامة فى تاريخ تعريب السودان ص ٤٨ .

(٥) Paul, A., The Hadareb, A Study in Arab- Beja relationships, SNR, XL, P.75.

وهكذا يتبين لنا أن بلاد النوبة قد عرفت الجنس العربى قبل ظهور الاسلام ، بل وقبل ظهور المسيحية أيضا .

وشهدت بلاد النوبة بعد ظهور الاسلام زيادة كبيرة فى حجم القبائل العربية التى هاجرت إليها ، وعملت هذه القبائل فى التجارة واستخراج المعادن ، واستطاعت فى هدوء أن تنشر الإسلام والثقافة العربية[١].

وكان العامل الاقتصادى والبحث عن موارد الرزق من العوامل التى شجعت العرب والمسلمين على الهجرة عبر نهر النيل والبحر الأحمر إلى هذه البلاد ، وإلى جانب هذا فان الظروف السياسية بالدولة الاسلامية والصراعات الحزبية والطائفية جعلت من البحر الأحمر معبرا للمهاجرين الفارين والمخاطرين إلى شرق افريقيا[٢]، وكذلك فى مصر حيث شجعت القبائل العربية أو اضطرت إلى الهجرة إلى بلاد النوبة[٣]. وتفصيل ذلك أن أغلب الولاة الذين حكموا مصر فى فجر الاسلام كانوا يصحبون معهم جيوشا عربية لتعزيز موقفهم فى البلاد[٤]، كما شجعوا مجئ بطون كثيرة من القبائل العربية ، أقامت فى الفسطاط والجيزة والاسكندرية ، ومنها بطون قيس التى اذن لها هشام بن عبد الملك فى سنة ١٠٩ هـ (٧٢٧ م) بالرحيل إلى مصر ، فقدم بها عبيد الله بن الحبحاب ، وأنزلها الحوف الشرقى[٥]، وأولاد الكنز وأصلهم من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان باليمامة ، وقدموا إلى مصر فى خلافة المتوكل على الله ٢٣٢ — ٢٤٧ هـ (٨٤٦ — ٨٦١ م) بعد سنة ٢٤٠ هـ ، وانتشروا فى أنحاء مصر ،

(١) ولهذا لم يكن غريبا أن نلاحظ فى تقسيم أركل لتاريخ السودان منذ أقدم العصور حتى سنة ١٨٢١ م أنه ينتقل بعد حديثه عن سقوط مروى إلى الحديث عن مجيء الاسلام من سنة ٦٠٠ إلى سنة ١٥٠٠ . أنظر :

Arkell, A.J., A History of the Sudan from the earliest times to 1821; London, 1955.

(٢) عبد الشافى غنيم عبد القادر ، المرجع السابق ص ٨٠ .

(٣) يوسف فضل حسن ، دراسات فى تاريخ السودان « المعالم الرئيسية فى الهجرة العربية إلى السودان » ص ٤٥ ، ٤٨ .

(٤) سيده كاشف ، مصر فى فجر الاسلام ، ص ٢٢١ .

(٥) المرجع السابق ،ص ٢٢٢ .

ونزلت طائفة منهم بأعالي الصعيد . وكانت البجة كما يقول المقريزى تشن الغارات على القرى الشرقية وأوديتها ، حتى أخربوها ، فقامت ربيعة بصدهم ، ثم تزوجوا منهم ، واستولوا على معدن الذهب بالعلاق ، فكثرت أموالهم واتسعوا فى أحوالهم(١). وكان لإلزام هذه القبائل بدفع الخراج عن الأرض فى العصر العباسى ، والتشدد فى جمعه - أكبر الأثر فى ثورة هذه القبائل فى عهد الخليفة المهدى ، وخلافة هارون الرشيد ، والمأمون(٢) ولم تفلح ثورة هذه القبائل ، ومن هنا كانت هجرتها بحثا عن موارد أخرى للرزق ، فاتجهت إلى الصعيد والصحراء الشرقية . وفى عهد المعتصم بالله - ومع ازدياد النفوذ التركى وسيطرة الأتراك على الحكم والجيش فى مصر ، ثم قطع العطاء عن العرب فى ولاية كيدر نصر بن عبد الله على مصر ٢١٦ - ٢١٩ هـ (٨٣١ - ٨٣٤)(٣) كان احتراف العرب للزراعة والتجارة وهجرة قبائل كثيرة منهم إلى الجهات الشمالية من بلاد النوبة وإلى أوطان البجة(٤).

ولم يحل عقد الصلح (البقط) دون توغل العرب وإقامتهم فى بلاد النوبة برغم ماورد فيه عن وجوب دخول أهل النوبة مصر مجتازين غير مقيمين فيها ، ودخول المسلمين بلاد النوبة مجتازين غير مقيمين فيها أيضا(٥) بل وورد فى هذا العقد أيضا ما يشير إلى وجود المسلمين فى دنقلة قبل مجى عبد الله بن سعد إليها ويبرز ذلك فيما جاء عن وجوب حفظ النوبة للمسجد الذى ابتناه بفناء مدينتهم وأن عليهم كنسه واسراجه وتكرمته(٦).

وتشير المصادر التاريخية إلى اتخاذ القبائل العربية أوطانا دائمة لها فى الإقليم بين أسوان ووادى حلفا ، وهو الاقليم الذى اتخذ اسم مريس وتمكن المسلمون من التدفق عن طريقه إلى باقى أنحاء النوبة ونشر الاسلام واللغة العربية فيها ،

(١) المقريزى ، البيان والإعراب ، ص ٤٤ .
(٢) سيده كاشف ، المرجع السابق ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .
(٤) عطية القوصى ، تاريخ دولة الكنوز الاسلامية ، ص ٢٠
(٥) المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص ٢٠٠
(٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

وهذا ما أشار إليه المسعودى[1] ين قال : إن لمن بأسوان ضياع كثيرة داخلة بأرض النوبة يؤدون خراجها إلى ملك النوبة ، وإنهم قاموا بشرائها فى العصرين الأموى والعباسى من رعاياه ، ولهذا أرسل هذا الملك وفدا إلى المأمون حين قدم إلى مصر يسأله الفصل فى الأمر ، حيث أن الأرض أرضه والقوم فيها عبيده لا أملاك لهم ، ومن ثم لاحق لهم فى بيعها إلى العزب ، وحين علم أهل أسوان أن الأرض ستنتزع من أيديهم احتالوا على ذلك بأن جعلوا أهل النوبة يقرون بعدم عبوديتهم لملكهم ، وبذلك توارث المسلمون هذه الأرض كما صار أهل النوبة كما يقول المسعودى نوعين « نوع ممن وصفنا أحرار غير عبيد ، والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد ،وهم من سكن النوبة فى غير هذه البلاد المجاورة لأسوان ، وهى بلاد مريس » . ويصف ابن سليم المسلمين فى هذه المنطقة بأنهم مقيمون ولا يفصح أحدهم بالعربية[2]، وربما حدث ذلك لطول معاشرتهم لأهل البلاد . كما تشير المصادر التاريخية أيضا إلى وجود هذه الجماعات الاسلامية فى المناطق الواقعة جنوبى مريس ، ومن ذلك إشارة ابن سليم إلى بناء جامع بدنقلة يأوى إليه الغرباء[3]، وفى سيرة الأنبا خريسطو دولوس البطريرك السادس والستين[4] اشارة إلى مسجد فى بلاد النوبة ، اتهم بهدمه مطران يدعى بقطر بوشاية من رجل يدعى على القفطى ، ولذلك أنفذ أمير الجيوش من الصعيد كتابا إلى ولده ، يأمره بالقبض على البطريرك واعتقاله إلى أن يصل مبعوثه إلى ملك النوبة لمعرفة الحقيقة ، وعندما انتهى الأمر بتكذيب ما قاله على القفطى ، تم احضار البطريرك مكرما ومبجلا إلى مجلس أمير الجيوش ، وقتل الواشى .

وتؤكد الاكتشافات الأثرية ماورد فى المصادر التاريخية عن انتشار المسلمين فى البلاد ، ففي بعض جزر كلابشة عثرت بعثة معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو والمعهد السويسرى بمصر — خلال أعمالها سنة ١٩٦١ فى

(١) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ٢ ، ص ٢٢-٢٣

(٢) المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ١٩٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٩٣ .

(٤) تاريخ البطاركة ، مج ٢ ، جـ٣ ، ص ٢٠٤ .

المنطقة بين بيت الوالى وخوردهميت على عملات إسلامية برونزية(١)، وتشير الجبانات الإسلامية وشواهد القبور بها إلى استخدام أراضى الدفن المسيحية لإقامة المدافن الإسلامية عليها(٢). ومن هذه الجبانات الإسلامية تلك التى أشار إليها آرثر ويجال جنوبى عنيبه بحوالى سبعة كيلو مترات(٣) وكذلك ما عثر عليه فى جبل عدة من مقابر إسلامية تميزت بقبابها المشيدة بالآجر(٤)، وهى من نمط وجد أيضا فى أنحاء مختلفة بالنوبة الشمالية وتشبه ما يوجد فى جبانة أسوان(٥). وفى دنقلة العجوز عثرت البعثة البولندية أيضا على جبانة إسلامية بها مقابر من أنواع مختلفة منها قبور تميزت بمصاطب مسطحة ترتفع حوالى من عشرين إلى ثلاثين سنتيمترا ومغطاة بحصى أبيض أو محاطة بالآجر ، وعثر على الالآف من مقابر هذا النوع ، ومنها مقابر غطيت بأقبية من الطوب اللبن ، وأخرى غطيت بقباب(٦) وعلى الرغم من قيمة هذه المقابر الإسلامية من الناحية المعمارية والفنية فانها لم تجد اهتماما من البعثات الأثرية لإنقاذها .

وتؤكد شواهد القبور العربية التى عثر عليها فى أنحاء مختلفة من بلاد النوبة زيادة عدد المسلمين ، بل واعتناق النوبيين للإسلام فى فترات تسبق سقوط الممالك المسيحية ، ومثال ذلك شواهد القبور المؤرخة التى عثر عليها فى تافه (٨٣٢ م) ، وكلابشة (٩٢٩ م) ، وقرطاسى (٩٣٣ م) ، والدر

---

(١) Keith Seele, From Khor Dehmit to Beit el- Wali, Fouilles en Nubie I, P.84; Gerhard Haeny, Tafa, Kalabsha, Wadi el Sebu, Rock Inscriptions and Semna South, Actes du II Symposium, P.34.

(٢) Save- Söderberg, T., Christian Nubia, Nubische Kunst, P.230.

(٣) Weigall, A., A Report on the Antiquities of Lower Nubia, P.123.

(٤) Mostapha El-Emir, Fouilles de L' Université d' Alexandrie à Gebel Adda (1959). Fouilles an Nubie I,P.38.

(٥) فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الاسلامية ، ج ١ ، ص ٥٦٥ ، ٥٦٧ ، شكل ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٦) Michalowski, Kush XIV, PP.294 f, pls. XLI-XLII.

(١٠٢٧ م) ، ويلاحظ فى بعض شواهد القبور القبطية استخدام التقويمين القبطى والهجرى(١).

وتدل بعض شواهد القبور العربية التى استخدمت كمواد للبناء فى بعض العمائر المسيحية المتأخرة على إقامة المسلمين فى مواقع استخدمها المسيحيون بعد القرن الحادى عشر لإقامتهم ، ومن هذه الشواهد ماتم اكتشافه فى جبل عدة ، حيث عثر على شاهدى قبر يرجعان إلى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى(٢)، وما كشفت عنه البعثة الاسكندنافية فى إحدى الجزر شرق النيل فى المنطقة الواقعة بين فرس وجماعى ، حيث عثر على شاهدى قبر ، أحدهما لاسحاق بن أحمد الذى توفى فى سنة ٩٧٨ م والآخر لمحمودة بنت محمود بن يوسف التى توفيت فى سنة ٩١٣ م(٣).

وفى جزيرة مينارتى التى كانت تقع على بعد ١٠ كم جنوب وادى حلفا عثر آدامز على مجموعة من شواهد القبور ، من بينها اثنان باللغة العربية لأختين والشاهدان بخط كوفى مورق توريقا بسيطا ، وأحدهما لفاطمه ابنة ابراهيم بن اسحق بن عيسى التى توفيت يوم الأحد فى أول بؤونه سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة للهجرة أى ما يوافق سنة ١٠٦١ م(٤). والآخر مؤرخ بسنة خمس وخمسين واربعمائة للهجرة أى ما يوافق سنة ١٠٦٣ م ، وقد أستخدم الشاهدان أيضا كمادة للبناء فى بعض العمائر المسيحية بالجزيرة(٥).

وهكذا يلاحظ أن أغلب ما عثر عليه من شواهد يرجع إلى الفترة الواقعة

---

(١) Monneret de Villard, Storia, P.118.
نقلا عن Adams, W.Y., Kush XII, P.236.

(٢) Millet, N., Gebel Adda, Actes du II Symposium, P.117.

(٣) Save- Soderberg, T., Op.Cit., P.238.

(٤) Adams, W.Y., Kush XII, P.236; Nigm Ed Din M, Sherif, The Arabic Inscriptions from Meinarti, Kush XII, PP.249-250 and pls. LIII-LIV a, b.

(٥) Adams, W.Y., Kush XIII, PP.172-173.

بين القرن التاسع والقرن الحادى عشر الميلاديين ، أى إلى عصر ازدهار ممالك النوبة المسيحية .

وتشير أخبار البجة وامارة بنى الكنز إلى وجه آخرَ من وجوه النشاط الإسلامى فى بلاد النوبة . فكانت اغارة البجة على صعيد مصر فى حوالى سنة ١٠٧ هـ (٧٢٥ م) بداية الاتصال الرسمى الإسلامى بهذه البلاد ، إذ صالحهم عبيد الله بن الحبحاب السلولى ، وكتب لهم عقدا ينص على وجوب دفعهم ثلاثمائة من الابل الصغيرة إلى ولاة مصر ، واجتيازهم ريف مصر للتجارة دون الاقامة فيها ، وألا يقتلوا مسلما أو ذميا وألا يؤووا عبيد المسلمين وأن يردوا آبقيهم إذا وقعوا فى أيديهم ، ويظل وكيلهم فى الريف رهينة فى يد المسلمين . وبعد مضى قرن عاد البجة إلى شن غاراتهم على أسوان ، فجردت عليهم حملة بقيادة عبد الله بن الجهم ، وانتهت بموادعتهم ، وعقد صلح بينه وبين ملكهم كنون بن عبد العزيز سنة ٢١٦ هـ (٨٣١ م) ومما ورد فيه[١]، فضلا عن ملكية الخليفة لبلادهم أنه إذا أدخل أحد من المسلمين فى بلادهم للتجارة أو الاقامة أو مجتازا للحج فهو آمن لآخر حدهم ، وان عليهم ألا يهدموا شيئا من المساجد التى ابتناها المسلمون بصيحة وهجر[٢] وسائر بلادهم طولا وعرضا . والحقيقة أن ماورد فى هذا العقد جعل من بلاد البجة جزءا من الدولة الإسلامية التى تطبق عليها شروط البلاد التى تفتح عنوة ، بدليل فرض الخراج عليها[٣].

واشتدت هجرة الجماعات العربية إلى هذه البلاد مع الحملات التى جردت عليها ومع ازدياد الضغط على هذه القبائل فى مصر وورود أخبار المعادن التى تحويها أرض هذه البلاد ، والتى لم تكن تبعد عن أسوان إلا بمقدار خمسة عشر يوما[٤] وقد ازدادت أعداد القبائل المهاجرة إليها بعد نجاح حملة محمد بن عبد الله

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ١٩٥ .

(٢) وهجر هى مدينة المملكة كما يقول اليعقوبى فى تاريخه ، جـ١ ، ص ١٥٥ .

(٣) مصطفى مسعد ، الاسلام والنوبة ، ص ١١٧ .

(٤) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ٤٢ .

القمى سنة ٢٤١ هـ (٨٥٤ م) فى خلافة المتوكل (٢٣٢ هـ – ٢٤٧ هـ) ، وولاية عنبسه بن اسحاق على مصر ، وقد انتهت هذه الحملة بأن يدفع البجة ما سلف وما يأتى من الخراج وبألا يمنعوا المسلمين من العمل فى المعدن(١). وفى سنة خمس وخمسين ومائتين حانت الفرصة لجماعات عربية أخرى من ربيعة وجهينة وغيرهم للهجرة إلى الجنوب عند تجريد حملة عسكرية أخرى إلى بلاد النوبة وأرض البجة بقيادة أبى عبد الرحمن عبد الله بن عبد الحميد العمرى(٢) وكانت هذه الجماعات من بين تلك التى عانت من هيمنة الأتراك فى مصر والساعية وراء مصادر رزق أخرى(٣).وبرغم ماعاناه العمرى من مقاومة القبائل العربية المستقرة فى منطقة مريس ، فإن أعماله اتسعت وامتد نفوذه شرقا حتى عيذاب وشمالا إلى أسوان ، حتى أن ابن طولون شك فى نواياه وخشى أن يمد نفوذه إلى مصر ، فأرسل جيشا لمحاربته بقيادة صباح بن حركام البابكى ، إلا أن العمرى تغلب عليه وتقدم بجيوشه حتى مدينة ادفو ، ثم عاد إلى مركز أعماله ليواجه خروج قبيلة ربيعة عليه ، وكانت نهايته على يد بعض أفراد قبيلة مضر ليبدأ بعد ذلك الصراع على امتلاك المعادن بين عرب ربيعة وجهينة(٤)، وكان لتحالف ربيعة مع البجة وجماعات عربية من قبيلتى مضر وتميم أثر كبير فى ازدياد نفوذها وخضوع الجميع لها ، وأدت المصاهرة مع البجة إلى استيلاء ربيعة على معدن الذهب بالعلاق وكثرة أموالها(٥). كما استطاعت بعض عشائرها فى النصف الثانى من القرن العاشر تأسيس أول امارة عربية فى أرض المعدن بالعلاق بزعامة أبى مروان اسحاق بن بشر(٦)، وخلفه بعد قتله ابن عمه ابو عبد الله محمد بن على المعروف بأبى يزيد بن اسحاق ، ثم

---

(١) البلاذرى ، فتوح البلدان ، القسم الأول ، ص ٢٨٢ ؛ المقريزى ، الخطط جـ١ ، ص ١٩٦ .

(٢) المقريزى ، المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

(٣) يوسف فضل حسن ، دراسات فى تاريخ السودان « عبد الله بن عبد الحميد العمرى من رواد الهجرة العربية إلى السودان » جـ١ ، ص ٥٥ .

(٤) مصطفى مسعد ، البجة والعرب فى العصور الوسطى ، ص ٣٥ .

(٥) المقريزى ، البيان والاعراب ، ص ٤٤ .

(٦) عطيه القوصى ، تاريخ دولة الكنوز الاسلامية ، ص ٣٦ – ٣٧ .

انتقل مقر هذه الامارة من العلاقى إلى أسوان ، حيث امتد نفوذها على أهل مريس ، واعترف الفاطميون بها ، وخلع الحاكم بأمر الله على أميرها أبو المكارم هبة الله لقب كنز الدولة ، وتوارث أبناؤه هذا اللقب ولم تزل الإمارة فيهم ، وكلهم يعرفون بكنز الدولة[١].

وفى العصر الأيوبى انتقل نشاط بنى الكنز إلى الجنوب فى بلاد النوبة ، حيث اندمجوا فى سكانها ، وذلك بعد هزيمتهم على يد شمس الدولة تورانشاه ثم الملك العادل أبى بكر ، بسبب اتهامهم بالتشيع للفاطميين[٢]. ومع اندماج بنى الكنز فى سكان النوبة ، أتيح لهم المشاركة فى الحملات المملوكية على بلاد النوبة ، ثم كانت مصاهرتهم لملوكها فى دنقلة حتى انتزع أميرهم الحكم وأعلن استقلاله عن المماليك سنة ١٣٢٣ م[٣].

وكان لموانى الساحل الافريقى على البحر الأحمر أكبر الأثر فى اجتذاب العناصر العربية ، لتكتمل بذلك حلقة الضغط حول ممالك النوبة المسيحية .

ولم يخضع النشاط الملاحى للعرب فى البحر الأحمر لتنظيم الدولة الإسلامية أو اشرافها قبل العصر المملوكى ، وإن كانت قد باركته ، وعملت على حمايته لأنه يعنى مد نفوذ هذه الدولة وبسط سلطانها على هذه الجهات[٤]. وأدى استقرار العرب فى المواقع التجارية على الساحل الغربى للبحر الأحمر إلى فتح المجال أمام القبائل العربية للإقامة ، ومن ثم إلى نشر الإسلام واللغة العربية ، وساعد على ذلك ما قامت به المعاهدات من تنظيم لعلاقات النوبة مع مصر ، وعدم وقوع المسلمين فى باضع أو غيرها فى نطاق سيطرة الدولة الإسلامية ، مما جعل هذه الموانى بعيدة عما يعكر صفو العلاقات مع عرب باضع ، أو

---

(١) المقريزى ، البيان والاعراب ، ص ٤٦ .

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة . ويذكر القلقشندى أن سبب الهجوم هو سعى الايوبيين إلى الحصول على ملاذ لهم فى حالة هجوم نور الدين الشهيد صاحب الشام عليهم . صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٢٧٦ .

(٣) المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ، ق ١ ، ص ١٦١ .

(٤) صلاح الدين الشامى ، الموانى السودانية ، ص ٦٤ .

يعطل مرور التجارة إليها من مراكز التجميع على النيل فى النوبة[1]. ومثلت باضع معبرا للعرب الباحثين عن الذهب فى اقليم العتباى فيما بين تلال البحر الأحمر والنيل وقد استطاع الباحثون – من خلال العثور على بعض البقايا الأثرية فى بلدة مخربة مهجورة على جزيرة صغيرة تعرف باسم جزيرة الريح – الاستدلال على وجود باضع على هذه الجزيرة ، ومن المرجح أنها خربت وهجرتها التجارة والملاحة فى القرن الحادى عشر ، إذ أن أحدث أثر كتابى عثر عليه ضمن خرائبها يرجع إلى حوالى منتصف القرن الحادى عشر ، مما يعنى أنها خربت فى تاريخ لاحق لتاريخ هذا الأثر[2].

أما عيذاب التى كانت تقع فى منطقة حلايب الحالية فان أول ذكر لها فى المصادر العربية ورد فى فتوح البلدان للبلاذرى[3] (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) ، إلا أنها أصبحت فى القرن العاشر الميلادى تنافس باضع فى مجال التجارة ، وورثت بعد خرابها مكانتها وشهرتها ، وساعد على ذلك أيضا استخدام طريق عيذاب لقوافل الحجاج من مصر والمغرب بعد الشدة المستنصرية فى سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ م) ثم زيادة النشاط الصليبى بالقرب من سيناء[4].

وبهذا عمرت عيذاب ، وزادت القوافل بينها وبين قوص على النيل فى مصر وكانت المسافة بينهما كما يقول المقريزى سبعة عشر يوما[5]، كما بعث المماليك إليها بوال من قبلهم مع الوالى الحدربى .

وقد تنبه الصليبيون إلى أهمية هذا الميناء فى حياة المسلمين الدينية والتجارية فقاد أرناط Renaud de Châtillon حملة إليه سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) ، وكان هدفها أرض الحجاز ، وبرغم فشل أرناط إلا أنه تمكن من تحطيم ست

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٧ – ٧٠ .

(٣) فتوح البلدان ، القسم الأول ، ص ٢٨٢ .

(٤) يوسف فضل حسن ، دراسات فى تاريخ السودان (المعالم الرئيسية فى الهجرة العربية إلى السودان) ص ٤٢ .

(٥) الخطط ، جـ١ ، ص ٢٠٢ .

عشرة سفينة وجدها فى هذا الميناء[1]، ولهذا زاد المسلمون من اهتمامهم بسلامة وتأمين تجارة البحر الأحمر بصفة عامة ، فقام السلطان بيبرس فى سنة ٦٦٤ هـ (١٢٦٥ م) بحملة على سواكن لتأديب عمالها لاعتدائهم على التجار المسلمين فيها واغتصاب أموال من يموت منهم[2]. ثم كان ما حدث من داود ملك النوبة فى عهد السلطان بيبرس سنة ٦٧١ هـ – ١٢٧٢م ، إذ خرب عيذاب ، وقتل قاضيها وحاكمها وأسر عددا كبيرا من سكانها ، وسخرهم فى بناء كنيسة سوس[3]. وكان لهذا أثره فى ازدياد حملات مصر على النوبة ، وهجرة قبائل عربية كثيرة إليها وفقدت عيذاب لهذا أهميتها ، وتدهورت أوضاعها ، وساعد على هذا أيضا زوال الأخطار التى كانت تهدد طريق الحج عبر سيناء ، واستخدام المماليك لميناء الطور على الساحل الشرقى لخليج السويس كميناء رئيسى لتجارة مصر المملوكية ، كما أدت مهاجمة بعض القبائل للقوافل التجارية إلى انتقال التجارة الشرقية إلى جدة[4] وكانت النهاية على يد السلطان برسباى حين خرب ميناء عيذاب انتقاما من سكانها الذين – هاجموا قافلة مصرية فى طريقها إلى مكة ، وربما كان السبب فى ذلك أيضا هو استخدام هذا الموقع فى اتصال بعض العناصر الأوربية بالحبشة ودنقلة من أجل التآمر على الدولة الإسلامية[5].

وبتخريب عيذاب تطور مركز سواكن ، وذاعت شهرتها كميناء فى خدمة التجارة وذلك منذ أوائل القرن الخامس عشر ، وإن كان وجودها سابقا على هذا التاريخ[6]. وقد استقر فى موقع هذا الميناء كل من المسلمين والمسيحيين

(١) حسنين محمد ربيع ، البحر الأحمر فى العصر الأيوبى (ندوة البحر الأحمر) ، ص ١٠٨ ؛
Newbold, D., The Crusaders in the Red Sea and the Sudan, SNR, XXVI, part II, P.221

(٢) المقريزى ، السلوك ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٥٥٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٢٣ .

(٤) يوسف فضل حسن ، المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٥) صلاح الدين الشامى ، المرجع السابق ، ص ٩٥ .

(٦) يوسف فضل حسن ، المرجع السابق ، ص ٤٤ .

الذين عملوا على خدمة تجارة النوبة والحبشة وكانت سيطرة مصر على هذا المنفذ البحرى بعد حملة بيبرس التى ورد ذكرها .

الحملات المملوكية وسقوط الممالك النوبية :

وتوالت الأحداث التى عجلت بنهاية الممالك المسيحية فى بلاد النوبة ومنها قيام الظاهر بيبرس بالرد على حملة الملك داود ملك دنقلة على عيذاب وأسوان بحملة قادها والى قوص سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٢ - ١٢٧٣ م) لغزو النوبة ، وعادت هذه الحملة بعدد من الأسرى كان من بينهم صاحب الجبل[١] وقد أتاح النزاع بين ملوك النوبة المتنافسين على العرش الفرصة لبيبرس كى يقضى على داود ، ويسيطر على مملكة مقرة سيطرة كاملة ، ذلك أن مشكذ - وهو شكنده ومرقشنكز فى بعض المصادر[٢] - ابن أخت داود أتى إلى الظاهر بيبرس متظلما لانتزاع داود الملك منه ، فجرد بيبرس حملة قادها الأمير آقسنقر الفارقانى والأمير عز الدين أيبك سنة ٦٧٤ هـ - (١٢٧٦ م)[٣]، وتمكنت هذه الحملة من هزيمة جيوش النوبة والاستيلاء على الدو وجزائر ميكائيل ، وأقر الأمير آقسنقر « قمر الدولة » صاحب الجبل بعد أن قبض عليه وحلف يمين الطاعة لمشكذ ، ووصلت الحملة إلى دنقلة لمواجهة الملك داود وجيشه ، وانتهت المعركة بفرار داود ، وأسر أخيه شنكو وأمه وأخته ، و« أقيم مشكذ فى المملكة وألبس التاج وأجلس فى مكان داود »[٤]. ويتبين من اليمين التى حلف عليها مشكذ للظاهر بيبرس عند جلوسه على العرش ، وكذلك اليمين التى حلف عليها النوبيون بطاعة السلطان ونائبه فى الحكم[٥] أن مقره أصبحت خاضعة تماما للسلطنة المملوكية ، وأن السلطان المملوكى أصبح بيده عزل ملوك النوبة وتعيينهم ، وبذلك تطبق عليهم معاملة أهل البلاد التى تفتح عنوة[٦]، ويتضح

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ٢٠٢ .

(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٢٧٧ ؛ المقريزى ، السلوك جـ١ ، ق ٢ ، ص ٦٢١ (حاشية ٤) .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ٢٠٢ .

(٤) المقريزى ، السلوك ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٦٢٢ .

(٥) مصطفى مسعد ، الاسلام والنوبة ، الملحق رقم ١٥ ورقم ١٦ ، ص ٢٧١ - ٢٧٣ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

هذا فيما قطعة مشكذ على نفسه بقوله « أننى أخلصت نيتى وطويتى من وقتى هذا وساعتى هذه للسلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس ، وأنى أبذل جهدى وطاقتى فى تحصيل مرضاته ، وأنى مادمت نائبه لا أقطع ما قرر فى كل سنة تمضى وهو ما يفضل من مشاطرة البلاد على ما كان قد حصل لمن تقدم من ملوك النوبة وأن يكون النصف من المتحصل للسلطان مخلصا من كل حق ، والنصف الآخر أرصده لعمارة البلاد وحفظها من عدو يطرقها ».
«وأننى أقرر على كل نفر من الرعية الذين تحت يدى فى البلاد من العقلاء البالغين دينارا عينا ، وأن يفرد بلاد العلى والجبل خالصا للسلطان ، وأنه مهما كان لداود ملك النوبة ولأخيه سنكو ولأمه وأقاربه ومن قتل من عسكره بسيوف العساكر المنصورة ، أحمله إلى الباب العالى مع من يرصد لذلك . وفى نص اليمين التى حلف عليها النوبيون يقطع كل منهم على نفسه بأنه متى علمت على نائب الملك مشكذ أمرا يخالف المصلحة لا أطيعه فيه ، وأطالع السلطان به فى الوقت والساعة ... ورضيت بأن أقوم بدينار عينا فى كل سنة خالية على »

وتبلور لنا نتائج هذه الحملة عاملين أساسين آخرين من عوامل إنهيار مملكتى النوبة ، وأولهمايتعلق بما أشار إليه المقريزى عن الرقيق الذى غنمه العسكر ، والذى بلغ من كثرة عدده أن بيع كل رأس بثلاثة دراهم و« فضل بعد القتل و البيع عشرة آلاف نفس »[1] ومهما تكن المبالغة فيما ذكر عن عددهم فان ما حدث كذلك فى حملات أخرى[2] يمثل مع تجارة الرقيق عاملا هاما فى حرمان البلاد من أفضل عناصرها . والعامل الثانى يتعلق بفرار داود إلى مملكة الأبواب بعلوة وأسر ملكها له ، وإرساله مقيدا إلى الظاهر بيبرس حيث اعتقل بالقلعة حتى مات[3] ويبرز هذا الأمر حقيقتين هامتين : الحقيقة الأولى هى اقتناع مملكة علوة بقوة المماليك والحقيقة والثانية هى ضعف العلاقات بين النوبة العليا والنوبة السفلى ، وعدم جدوى استنجاد إحداهما بقوة الأخرى ، الأمر الذى وصل إلى حد الصراع بينهما[4].

(١) المقريزى ، السلوك ، حـ١ ، ق٢ ، ص ٦٢٣ .

(٢) المصدر السابق ، جـ١ ، ق٣ ، ص ٧٤٣ .

(٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٢٧٧ .

(٤) مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ١٥٣ .

وهكذا يبدو واضحاً أن سقوط ممالك النوبة المسيحية وخضوعها للدولة المملوكية لا يرجع فقط إلى عوامل خارجية كالحملات العسكرية وهجرة القبائل العربية إليها ، بل إلى عوامل داخلية أيضاً .

وبرغم أن تبعية مملكة مقرة للسلطنة المملوكية أصبحت كاملة فإن سلاطين المماليك لم يتهاونوا فى الوقوف أمام أى محاولة من قبل ملوك النوبة لتأخير البقط أو الجزية ، أو الانتقاص من السيادة المملوكية على بلادهم ، ولهذا فإن اعتداء سمامون[1] على سنجر المقدمى رسول السلطان قلاون إلى ملك الأبواب – وذلك لمعرفة أسباب النزاع بينه وبين سمامون – تمت مواجهته بحملة حربية كبيرة فى سنة ست وثمانين وستمائة للهجرة . وربما رأى قلاون فيما قام به سمامون رغبة منه فى الخروج عليه[2]. وكان على رأس الحملة الأمير علم الدين سنجر المسرورى المعروف بالخياط متولى القاهرة ، والأمير عز الدين الكورانى وصحبهما متولى قوص وأجناده وعربان الأقليم من «أولاد أبى بكر وأولاد عمر وأولاد شريف وأولاد شيبان وأولاد الكنز وبنى هلال وغيرهم »[3]، وبعد قتال شديد انهزم ملك النوبة وفر سمامون وعين ابن أخته ملكا على النوبة ، وعين والى قوص عز الدين أيدمر أميرا مملوكيا مقيما إلى جانب ملك النوبة ، وتحت قيادته حامية مملوكية بدنقلة[4] وحينما خرجت الحملة من البلاد هب سمامون لاسترداد ملكه ففر ابن أخته إلى القاهرة مع جريس صاحب الجبل ، وعسكر الحامية ، وذلك أعد قلاون العدة لحملة جديدة قامت فى سنة ٦٨٨ هـ (١٢٨٩ م) بقيادة الأمير عز الدين أيبك الأفرم وبصحبته أمراء آخرون ووالى قوص وسائر أجناد المراكز بالوجه القبلى ونواب الولاة وأربعون ألف راجل من عربان الوجهين القبلى والبحرى ، ومعهم ملك النوبة وجريس . ولما وصلت الحملة إلى أسوان مات ملك النوبة فدفن فيها ثم بعث قلاون بواحد من أولاد اخت

(١) يطلق القلقشندى على سمامون اسم سيمابون . صبح الأعشى ، حـ ٥ ، ص ٢٧٧ .

(٢) مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

(٣) المقريزى ، السلوك ، جـ١ ، ق٣ ، ص ٧٣٦ – ٧٣٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٧٤٣ .

داود وكان مقيما بالقاهرة ، وتعاون بنوالكنز مع الحملة لتأمين أهل البلاد ، وتجهيز الاقامات . وكان العسكر إذا دخلوا بلدا فى المنطقة الواقعة بين الدو وجزائر ميكائيل خرج إليهم المشايخ والأعيان وقبلوا الأرض وأخـذوا لأمان وعادوا . أما المنطقة التى تقع بين جزائر ميكائيل ودنقلة فإن أهلها جلوا عنها طاعة لسمامون الذى نزل بجزيرة فى بحر النيل تبعد عن دنقلة خمسة عشر يوما ، ثم فر إلى الأبواب بعد رفضه الدخول فى الطاعة وخوفه من القبض عليه ، ولذلك انفض عنه الأمراء وفارقه الأسقف والقسوس الذين سألوا الأمان فأمنهم والى قوص ، ثم تمت تولية ابن أخت داود ، وعينت طائفة من العسكر تقيم عنده وعليها بيبرس العزى مملوك الأمير عز الدين والى قوص ، وعادت الحملة إلى القاهرة . إلا أن سمامون لم يدم اختفاؤه فقد زحف بعسكره على دار الملك ، وأخرج بيبرس العزى ومن معه إلى قوص ، وقتل الملك وجريس ، ثم كتب إلى السلطان قلاون يسأله العفو ، ويتعهد بدفع البقط المقرر وزيادة ، كما بعث بهدية من الرقيق وغيره فقبلت منه ، وأقره السلطان ملكا على البلاد[1] ولم يف سمامون بما وعد بعد وفاة قلاون ، إلا أن السلطـان خليل بن قلاون أرسل إليه من أنذره فسأله سمامون الأمان ، ووعد بإرسال البقط ، وقبل السلطان وعده ، غير أن مراوغة سمامون دفعت السلطان خليل إلى إرسال حملة بقيادة عز الدين الأفرم لعزله ، والقبض على أمير نوبى يدعى آنى لخروجه على السلطان ، ولكن هذا الأمير استطاع الفرار وربما فر أيضا سمامون إلى مكان مجهول ، أو أنه مات قتيلا وخلفه آنى فى مملكة النوبة[2]، وتم تعيينه ملكا وعين جريس الذى ربما كان آخا لسمامون نائبا له[3].

ولم تهدأ أحوال البلاد عند هذا الحد برغم استمرار تبعية البلاد للسلطنة المملوكية ، إذ قدم أماى أو أمى كما يذكر القلقشندى[4] سنة ٧٠٤ هـ إلى

(١) المقريزى ، المصدر السابق ، ص ٧٤٩ – ٧٥٣ .

(٢) مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص ١٦٠ – ١٦١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦١ .

(٤) صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٢٧٧ .

السلطان الناصر محمد بن قلاون طالبا المساعدة ضد أعدائه ، فأرسلت حملة أمضت تسعة عشر شهرا فى بلاد النوبة[1]، وبعد موت أماى تولى أخوه كرنبس العرش وأعلن ولاءه للسلطان الناصر ، غير أنه اتجه بعد ذلك إلى التخلص من تبعيته للماليك ، ولذا كانت الحملة التى قامت فى سنة ٧١٥ هـ (١٣١٥ م) ، وتم خلالها تنصيب سيف الدين عبد الله برشمبو النوبى ملكا على البلاد بعد فرار كرنبس إلى مملكة الأبواب وأعلن عن ذلك بتحويل أحد القصور[2] فى دنقلة إلى مسجد فى سنة ٧١٧ هـ (١٣١٧ م) ويذكر القلقشندى عن برشمبو أو عبد الله نشلى كما يسميه[3] أنه أسلم وحسن اسلامه ، وأقام بمصر بالأبواب السلطانية وأجرى عليه السلطان الملك الناصر رزقا . أما كرنبس فقد بعث به ملك الأبواب إلى السلطان فأقام عنده . ومع تولى برشمبو الحكم فى بلاد النوبة سنة ٧١٧ هـ (١٣١٧ م) تبدأ مرحلة تولى الملوك المسلمين لعرش البلاد ، وكان لهذا أثره فى ثورة بنى الكنز ومطالبتهم بالعرش باعتبارهم مسلمين ومتزوجين من بنات ملوك النوبة ، وقد انحازت القبائل العربية فى بلاد النوبة مع أهل هذه البلاد إلى جانب بنى الكنز ، ولم يعترف هؤلاء ببرشمبو ملكا عليهم ، مما شجع كنز الدولة ابن أخت كرنبس على محاولة

(١) المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ، ق ١ ، ص ٧ .

(٢) كان الاعتقاد أن هذا البناء الذى حول إلى مسجد هو كنيسة دنقلة العجوز برغم الإقرار باختلاف طراز بنائها عن كل الطرز الشائعة للكنائس .

Crowfoot, J.W., christian Nubia, JEA XIII, PP.144-145;

مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ص ١٠٤ . إلا أن الحفائر الحديثة للبعثة البولندية فى دنقلة العجوز سنة ١٩٦٩ والتحليلات المعمارية عن هذا المبنى أشارت إلى أنه ليس كنيسة كما هو شائع ، وإنما هو قلعة أوقاعة استقبال ملكية ، وهى بهذا تؤيد رأى سومر زكلارك فى عدم اعتبارها كنيسة : أنظر :

Somers Clarke, Christian Antiquities in the Nile Valley, P.44; Michalowski, Fouilles Polonaises à Dongola, Nubische Kunst, P .165.

(٣) صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٧٧ .

الوصول إلى العرش وقتل برشمبو . إلا أن السلطان الناصر رفض الاعتراف بكنز الدولة ملكا على البلاد ، ومن ثم أرسل أبرام أخا كرنبس لتولى العرش ، فخرج كنز الدولة إلى خاله طائعا[1]. غير أن أبرام قبض على ابن أخته وأرسله إلى القاهرة ، ولم ينقذه من مصيره هذا إلا موت أبرام بعد ذلك بثلاثة أيام[2]. وفى سنة ٧٢٣ هـ (١٣٢٣ م) أرسل السلطان الناصر حملة إلى النوبة لخلع كنز الدولة وإعادة كرنبس إلى العرش[3]. وبانسحاب الحملة شمالا عاد كنز الدولة ، وحارب كرنبس وانتقل الحكم إلى بنى الكنز فى نفس السنة لتبدأ دولتهم ، ولينتهى عهد مملكة مقرة المسيحية[4].

أما مملكة علوة فقد تعرضت إلى عوامل مشابهة لتلك التى تعرضت لها مملكة مقرة ، أدت إلى تفككها ثم انهيارها ، وقيام سلطنة الفونج على أنقاضها فى أوائل القرن السادس عشر . ومن هذه العوامل ذلك النزاع بينها وبين مملكة مقره كما ورد . ولعل حرص مقرة على الحصول على الرقيق للتجارة أو الوفاء بالبقط ، كان أحد الأسباب التى أدت إلى ذلك النزاع ؛ إذ لابد أن ذلك قد دفعها إلى محاولة الحصول عليه من جيرانها .

كذلك تعرضت مملكة علوة لإغارات مملكة الزغاوة منذ القرن الثانى عشر الميلادى على طرق القوافل التجارة ما بين بحيرة تشاد غربا إلى النيل شرقا ، وظل تهديدها قائما حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى[5]. وقد هاجم أعراب جذام مملكة الزغاوة حتى سيطروا على منطقة دارفور[6] التى شنوا منها غاراتهم

(١) المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ، ق ١ ، ص ١٦١ .

(٢) مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ١٦٨ .

(٣) يشير القلقشندى إلى أن كرنبس أسلم وهو فى القاهرة وإلى أن الجزية قد انقطعت عن النوبة من وقت إسلام ملوكهم . أنظر صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٢٧٧ .

(٤) عطية القوصى ، تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٩٧ .

(٥) Arkell, A,J. A History of the Sudan P.199.

مصطفى مسعد ، الاسلام والنوبة ص ١٨٤ .

(٦) Arkell, A.J., Op.Cit., PP.199-200.

على الأقاليم المجاورة حتى مملكة البرنو فى الغرب ، وهذا ما تؤكده شكوى سلطان البرنو « المادى عثمان أوبيرى بن ادريس (١٣٩٢ - ١٤٢٤/١٤٢٥ م) إلى السلطان الظاهر أبى سعيد برقوق فى سنة ٧٩٤ هـ (١٣٩١/١٣٩٢ م) من اعتداءات عرب جذام المجاورين له والذين اغتصبوا جماعة من أقاربه وباعوهم فى الاقطار بيع الرقيق[1]. ولابد أن جماعات عربية كبيرة شقت طريقها إلى علوه بعد وصولها إلى المنطقة عبر نهر النيل والبحر الأحمر ، ومع الحملات العسكرية التى جردت فى العصر المملوكى وبفضل كثرة عددهم وتحالف بعضهم مع الفونج تمكنوا من إسقاط هذه المملكة سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م)[2]، وزادت هذه الهجرات العربية بعد سقوط مملكة مقرة المسيحية ، حيث اندفعت نحو المراعى الخصبة فى علوة . وكان الطابع العام للهجرات العربية إلى أنحاء علوة طابعا سليما ، وتحققت لها مآربها عن طريق الاختلاط ومصاهرة النوبيين فيها[3]. وتدل إشارة ابن سليم إلى وجود رباط للمسلمين فى علوة[4] على وجود العرب المسلمين منذ وقت مبكر فى هذه المملكة وبهذا استطاعت هذه القبائل العربية السيطرة على معظم أقاليم علوة ، إلا أنها لم تنشئ حكومة مركزية تخضع لها هذه الأقاليم وفى القرن الخامس عشر حينما ظهرت عدة ممالك ومشيخات إسلامية فى المنطقة ظهر الأثر العربى الإسلامى فى تطور الحياة الإجتماعية والسياسية ، مما عجل بزوال المملكة المسيحية فى علوة ، وتمثل هذا الأثر فى اختفاء نظام الوراثة القديم أى نظام الأمومة ، وأصبح الحكم وراثيا فى بيت شيخ القبيلة أو الدار[5]، كما تمثل فى ازدياد انتشار الاسلام ، ولاسيما أن البقية الباقية من المسيحيين فى البلاد عانت

---

(١) ابراهيم على طرخان ، امبراطورية البرنو الإسلامية ، ص ١٨٧ .

(٢) العرب الذين تحالفوا مع الفونج هم العبدلاب من عرب القواسمة الذين ينتمون إلى قبيلة رفاعة احدى المجموعات الجهينية . أما تسميتهم بالعبدلاب فترجع إلى نسبتهم إلى عبد الله جماع الذى أصبح زعيما لهذه القبيلة أنظر محمد محمد أمين ، العبدلاب وسقوط مملكة علوة ، ص ١٩٢ .

(٣) مصطفى مسعد ، امتداد الإسلام والعروبة إلى وادى النيل الأوسط ، ص ٧٩ .

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ١٩٣ .

(٥) مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص ٨٩ .

إهمالا من كنيسة الاسكندرية . والحقيقة أن هذا الإهمال لم يكن قاصرا على مملكة علوة ، بل شمل أيضا مملكة مقرة ، وكانت النتيجة أن تعطلت الطقوس الدينية فى البلاد حتى اعتاد النوبيون على هذا الوضع وكانت المسيحية فضلا عن ذلك غطاء لكثير من المعتقدات الوثنية ، ولم تستطع أن تغرس لها جذورا عميقة فى هذه البلاد[1] ولا يمكن إنكار أثر الصراعات بين القبائل فى مملكة مقرة على قطع العلاقات الدينية بين الكنيسة المصرية وكنيسة علوة ، مما أدى إلى توقف ارسال الأساقفه المصريين منذ وفاة اسقف النوبة « سيريل » سنة ١٢٣٥ م[2].

العصر المسيحى المتأخر

وبهذا يمكننا أن نحدد حالة مسيحى النوبة فيما يمكن تسميته بالعصر المسيحى المتأخر ، أى بعد سقوط الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) وبداية العصر الأيوبى فى مصر . والحدث التاريخى الفاصل بين عصر الرخاء وهذا العصر هو تلك الحملة التى قادها تورانشاه أخو صلاح الدين الأيوبى على النوبة سنة ١١٧٢ م وربما كانت هذه الحملة ردا على تأييد النوبيين للفاطميين وهجومهم على أسوان ، ثم تقدمهم فى صعيد مصر . ومهما تكن أسباب هذه الحملة فإنها كما يذكر أبو المكارم استطاعت الاستيلاء على قصر ابريم ، وأسر عدد كبير من النوبيين ، وقامت بتحويل كنيسة العذراء مريم إلى مسجد[3]، وتركت بالموقع حامية بقيادة ابراهيم الكردى الذى استطاع القيام بعدد من الحملات على بعض المواقع الجنوبية ، إلا أنه مات غرقا قرب أدندان عند محاولة عبور النهر من فرس فى سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م)[4] وكان لسياسة الردع الأيوبى أثرها فى قطع الاتصالات بين النوبة وشواطئ البحر المتوسط ، مما حرم

---

(١) زاهر رياض ، اتجاهات مصر الإفريقية فى العصور الوسطى، ص ٦ .

(٢) محمد محمد أمين ، المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

(٣) أبو المكارم ، ص ١٢١ – ١٢٢ .

(٤) Shinnie, Christian Nubia, P.583.

النوبة من التبادل الثقافى وإقامة علاقات مع كنائس سواحل هذا البحر(١).

وتشير أحوال النوبة خلال هذه الفترة – كما أشرت من قبل – إلى سيطرة العرب على الموارد الاقتصادية للبلاد ، وتحكمهم فى التجارة ، وبخاصة بعد نشاط تجارة القوافل بالصحراء .

وتشير الاكتشافات الأثرية – كما ورد – إلى اندماج أسقفية فرس فى أسقفية ابريم ، مما يدل على قلة عدد المسيحين بالمنطقة . ولا شئ محدد يمكن ذكره عن كنائس هذا العصر سوى ما يتعلق بوضوح التأثير الاسلامى واستخدام الكنائس السابقة(٢). أما الخزف الذى تم انتاجه محليا فى هذا العصر فقليل ، ويتسم برداءة الصناعة ، وأغلبه مصنوع باليد ، والخزف المستورد قليل أيضا ، ومنه قطع من صناعة مصر المملوكية(٣).

وتبرز لنا الإكتشافات الأثرية آثار الحملات العسكرية المتوالية على بلاد النوبة فى هذا العصر ، إذ يلاحظ وجود مواقع محصنة قليلة ، مثل قصر أبريم وفرس غرب وسره شرق ومينارتى تجمع بها السكان بكثافة كبيرة ، واتخذوا منازل ذات حجم كبير بنيت بالطوب اللبن . وتتميز هذه المنازل فى منتصف القرن الثانى عشر بجدرانها السميكة وتخطيطها المعقد ، وكان الدخول إليها من السقف بعد أن حلت الأقبية محل الأسقف الخشبية(٤). ويشير شكل هذه الأبنية إلى استخدامها فى حماية الممتلكات والغلال من المغيرين . وربما كان اعتماد النوبيين فى الهرب من المغيرين على خفة الحركة ، وقد يفسر هذا عدم استخدام الأسوار الدفاعية فى النوبة السفلى على الأقل(٥). أما المواقع فى الجنوب فتتميز

---

(١) Vantini, G.,Op,Cit., P.24.

(٢) Adams, W.Y., JEA 51, P.175.

(٣) Crowfoot, J.W., JEA XII, P.145; Adams, W.Y., The evolution of christian Nubian Pottery. Nubische Kunst, P.121; Hans D. Schneider, Abdallah Nirqi- Deseription and Chronology of the central church, Nubische Kunst, P.91.

(٤) Adams, W.Y., Kush XII, PP.216-248; id Kush XIII. PP. 1 48-176.

(٥) Adams, W.Y., JEA 52. P.150

بتحصينها بأبراج مراقبة مثلما فى مينارتى وأبو سر وجزيرة عبكه وجزيرة كولب ، وكلها جزر ، وبرغم هذا فان النظم الدفاعية لها تتجه نحو البر وإلى الجنوب ، مما يعنى أن الاغارات كانت من قوات برية آتية من الجنوب . وعلى هذا فمن الواضح أن الخطر فى هذه الفترة لم يكن متمثلا فى الحملات العسكرية القادمة من الشمال فقط ، بل كان أغلبه من تلك القبائل التى اعتادت السيربرا ، وتوغلت جنوبا ، ثم وجهت هجماتها نحو الشمال[1].

وفى ضوء ما تقدم فإن من الضرورى أن نتعرض بالبحث لنقطة هامة أثارها بودج E.A.W Budge عن دور المسلمين فى مصر فى القضاء على المسيحية ببلاد النوبة ، إذ يقول إن اضطهاد المسيحيين فى مصر امتد إلى النوبة وإن كثيرا من العرب قد ساروا على نهج شركائهم فى العقيدة بمصر ، فأحرقت الكنائس وشيدت المساجد فى مواضعها ، وكانت نهاية الكنيسة فى النوبة قبل القرن الرابع عشر الميلادى[2]. هذا ما ذكره بودج سنة ١٩٠٧ ، وبعد حوالى ستين عاما من هذا التاريخ نجد رأيا آخر يعتمد على جهود ضخمة من البحث والتنقيب لوليام آدامز الذى يذكر أنه من غير الممكن أن ننسب إلى المصريين أى محاولة مدبرة لتحطيم العقيدة المسيحية فى بلدهم أو فى بلاد النوبة ، وأن ما قامت به حملة تورانشاه من مهاجمة لكنيسة قصر أبريم ، وذبح خمسمائة خنزير كان بصورة واضحة آثارا عارضة لاصلة لها على الاطلاق بالغرض الرئيسى من الحملة . ويضيف آدامز أن التلف الذى حدث للآثار المسيحية فى النوبة على يد الحملات المصرية كان قليلا نسبيا ولم يكن التعصب الدينى دافعا إلى ذلك ، وأن اضطهاد المسيحيين المصريين فى عصر الدولة المملوكية الأولى لم يصحبه جهد لقمع العقيدة[3].

---

(١) Ibid, P.151.

(٢) Budge, The Egyptian Sudan, its History and Monuments, II. P.130.

وقد نقل عنه الدكتور مصطفى مسعد فى :

The Downfall of the Christian Nubian Kingdoms, SNR, XL, P.126.

(٣) Adams, W.Y., JEA 52, P.149.

إن ما ذكره آدامز يعد حقائق يدعمها ماورد فى المصادر التاريخية وما كشفت عنه أعمال التنقيب عن الآثار ، فالحملات العسكرية التى جردت كانت ضرورة فرضتها حماية رعايا الدولة الاسلامية ، أوردا على محاولات النوبة عدم وفاء ملوكها بما قطعوه على أنفسهم وفى اعتداءاتهم المتكررة على الحدود للانتقاض من سيادة الممالك على هـذه البلاد ، وتمثلت هذه المحـاولات فى والمناطق الخاضعة لسلطان المماليك . كما جردت بعض هذه الحملات لتأييد ملك بعينه ، وكان الاحتفال بتتويج ملوك مقرة فى هذه الفترة يتم فى كنيسة المسيح (سوس) أكبر كنائس دنقلة ، حيث كان الأمراء يمدون السماط لتناول الطعام ، وبعد ذلك ينوج الملك ويقوم بحلف اليمين[١].

وتشير الاكتشافات الأثرية إلى أن المزارعين المسيحيين ، وأولئك الذين اتخذوا الجزر ملاجئ لهم فى المنطقة الواقعة بين المحرقة والشلال الثالث عاشوا فى سلام ، لأنهم اكتفوا بمراقبة تحرك الجيوش وهى فى طريقها إلى دنقلة أو إلى أسوان . ويؤكد هذا أن الخمس والسبعين كنيسة التى عثر عليها فى هذه المنطقة لم تحول إلى مساجد ، اللهم إلا البازليكا التى فى قصر أبريم ، والتى حولت على يد حامية البقسنة إلى مسجد فى القرن السادس عشر بعد أن هجر البناء ولم يعد مستخدما ككنيسة[٢].

وفى النوبة السفلى التى خضعت للكنوز ، وكانت من المناطق الخاضعة لسلطان الظاهر بيبرس ، وجدت الآثار الدالة على وجود جماعة مسيحية حتى بعد سقوط مملكة مقرة بحوالى نصف قرن . كما تدلنا هذه الاكتشافات على استمرار العلاقات الاقتصادية بين مصر والنوبة والتى تميزت باستقلالها عن الأحوال السياسية والعسكرية[٣].

ومن هنا يمكن القول إن انتشار الاسلام فى بلاد النوبة كان تطورا طبيعيا حدث مع فهم النوبيين للإسلام ، ولم يكن ناتجا عن اتباعهم لدين ملوكهم .

---

(١) المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٧٥٢ .
Adams, W.Y., Op,Cit., PP.152-153.

(٢) Adams, W.Y., Op.Cit., P.149.

(٣)

ملحق رقم (١)
قائمة بأسماء ملوك النوبة الشمالية « مقرة »

عن :

١ — Monneret de Villard, Storia della Nubia cristiana, P. 223.

٢ — مصطفى محمد مسعد الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، ص ٢٨١ — ٢٨٢ .

٣ — Michalowski, Faras, die Nathedrale, P. 185.

٤ — عطية القوصى ، تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص ١٤٨ —١٤٩ .

٥ — تقارير الحفائر ودراسات متفرقة (أنظر الباب الثالث من البحث) .

سلكو	٥٣٦ م (أو منتصف القرن الخامس الميلادى)
اربانم	٥٥٩ أو ٥٧٤ م
توكيلتويتون	٥٧٧ م
قاليد وروث	٦٥١ — ٦٥٢ م
زكريا بن باركى	٦٥٤ — ٦٥٥ م
مرقوريوس	٦٩٧ — ٧١٠ م
زكريا بن مرقوريوس	
سيمون	
ابراهام	بين ٧٤٤ — ٧٦٨م
ماركوس	
قرياقوس	
ميخائيل	أواخر القرن الثامن
يؤانس (يحنس — يوحنا)	
زكريا اسرائيل الثانى بن يؤانس	٨٢٢ م
جورج الأول بن زكريا	٨٥٦ أو ٨٥٩ أو ٨٦٦ — ٩٢٠ م

زكريا الثالث بن جورج الأول	٩٢٠ – ٩٣٠ م (كان لا يزال فى الحكم فى سنة ٩٣٠ م)
كبرى بن سرور	٩٤٣ م
جورج الثانى	٩٦٩ أو ٩٧٩ – ١٠٠٢ م
رفائيل	١٠٠٢ – ١٠٠٦ م
اسطفانوس	١٠٢٧ م
سلمون	١٠٨٠ م
جورج الثالث	١٠٨٠ م
باسيليوس	١٠٨٩ م
جورج الرابع	١١٣٠ – ١١٥٨ م
مويس	١١٥٨ م
داود الأول	١٢٧٢ – ١٢٧٣ م
داود الثانى بن داود الأول	١٢٧٤ – ١٢٧٧ م
شكنده بن أخت داود الأول مسكديت	١٢٧٥ –١٢٧٦ م
برك	١٢٧٩ – ١٢٩٠ م
سمامون	١٢٨٦ م
ابن احدى أخوات سمامون	١٢٨٨ م
عودة سمامون للمرة الثانية	١٢٩٠ م
أحد أبناء أخت الملك داود الثانى	١٢٩٠ م
عودة سمامون للمرة الثالثة	١٢٩٠ – ١٢٩٣ م
آنى	؟
بدمة	؟
آماى	١٣٠٤ – ١٣٠٥ م
كرنبس (كودانبس)	١٣١٢ م
عبد الله برشمبو	١٣١٦ م

كنز الدولة ١٣١٧ م

ابراهام (خال كنز الدولة وشقيق

كرنبس) حكم ثلاثة أيام فقط

عودة كرنبس ١٣٢٣ م

عودة كنز الدولة ثانية ونهاية مملكة

مقرة

المسيحية ١٣٢٣ م

(جويل ؟ ١٤٦٤ - ١٤٨٤ م) .

ملحق رقم (٢)
قائمة بأسماء أساقفة فرس

عن :

١ – Michalowski, Faras, Die Kathedrale, P.186.

٢ – Jakobielski, Bishopric, pp, 194-195, 206-211.

الأسقف	الفترة
١ – ايتيوس	الربع الثانى من القرن السابع الميلادى .
٢ – سرابيــون	
٣ –	؟
٤ – بيلاطس	النصف الثانى من القرن السابع الميلادى
٥ – بولس	من ؟–٧٠٩ أو ٧١٩ م
٦ – مينا	من ٧٠٩ أو ٧١٩ – ٧٣٠ م
٧ – متائيوس (متى)	من ٧٣٠ – ٣١ مايو ٧٦٦ م .
٨ – أغناطيوس	من ٧٦٦ – ٢٣ يناير ٨٠٢ م
٩ – يؤانس الأول	من ٨٠٢ – ٨٠٩ م (؟)
١٠ – يؤانس الثانى	؟
١١ – ماركوس	مكث فى الأسقفية ١٢ سنة .
١٢ – خائيل الأول	من ؟ – ٨٢٧ م
١٣ – توماس	من ٨٢٧ – ١٦ يولية ٨٦٢ م
١٤ – عيسو الأول	من حوالى ٨٦٢ – ٨٦٦ م
١٥ – كيروس	من حوالى ٨٦٦ – ٩٠٢ م
١٦ – أندرياس	من ٩٠٢ – ٩٠٣ م
١٧ – كلوذوس	من ٣٠ يوليه ٩٠٣ – ١٣ اغسطس ٩٢٣ م
١٨ – اسطفانوس	من خريف ٩٢٣ – ١٤ يولية ٩٢٦ م
١٩ – إلياس	من نهاية ٩٢٦ أو بداية ٩٢٧ – ٦ أغسطس ٩٥٢ م

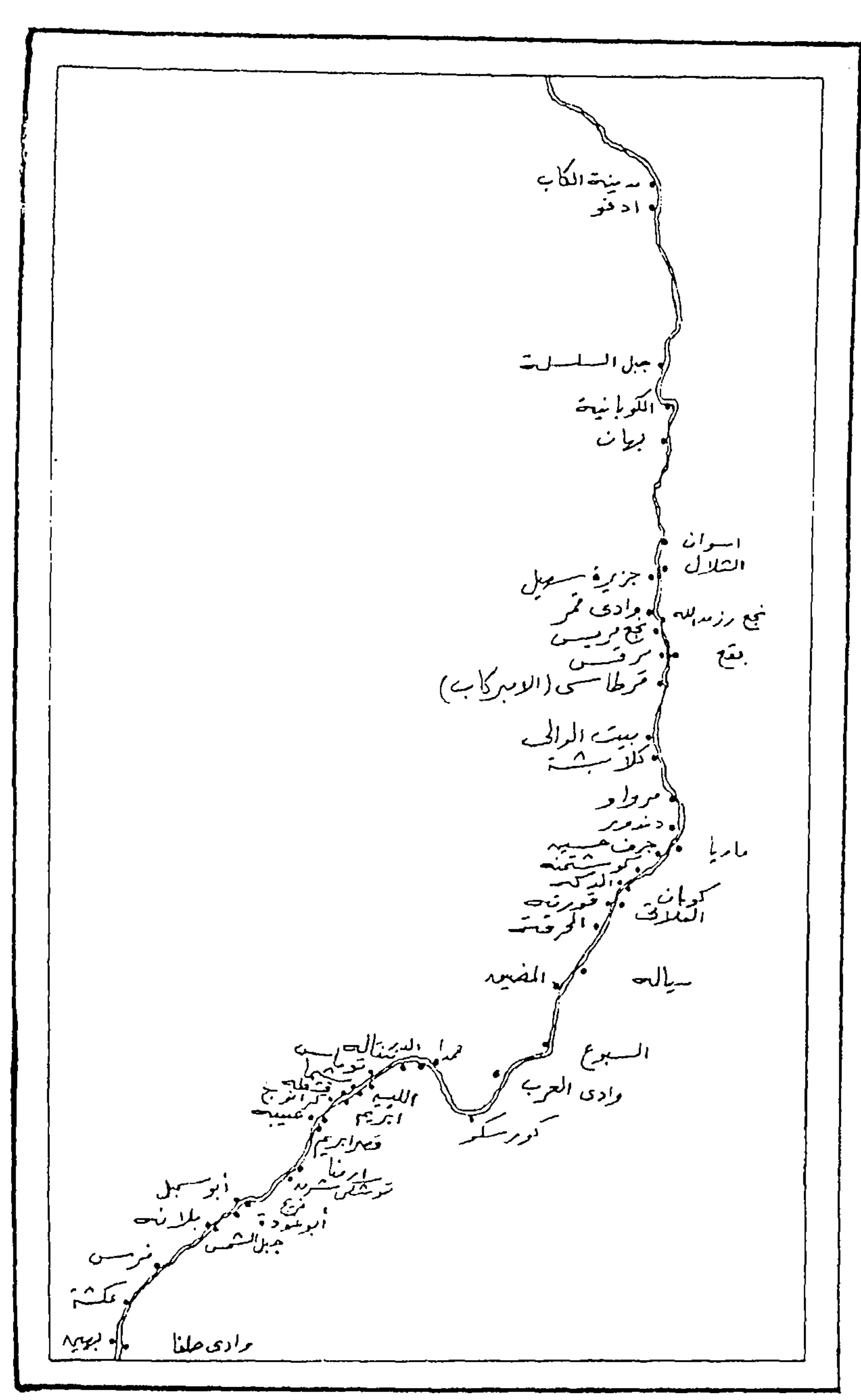
٢٠ – هارون	من نهاية ٩٥٢ – ١٢ ديسمبر ٩٧٢ م

فترة شغور من ديسمبر ٩٧٢ إلى ربيع سنة ٩٧٤ م

٢١ –بطرس الأول	من مارس أو يوليه ٩٧٤ – ٢٠ يوليه ٩٩٩م وتولى مهام منصبه فى الكاتدرائية حتى سنة ٩٩٧ م فقط .
٢٢ –يؤانس الثالث	من سبتمبر ٩٩٧ – ٢١ سبتمبر ١٠٠٥ م
٢٣ –(ماريانوس)	من سبتمبر ١٠٠٥ – ١١ نوفمبر ١٠٢٦ م (وكان فى أسقفية أخرى من خريف ١٠٠٣ إلى سبتمبر ١٠٠٥ م)
٢٤ –مرقوريوس	من ١٠٣٧ – أول يوليه ١٠٥٦ م .

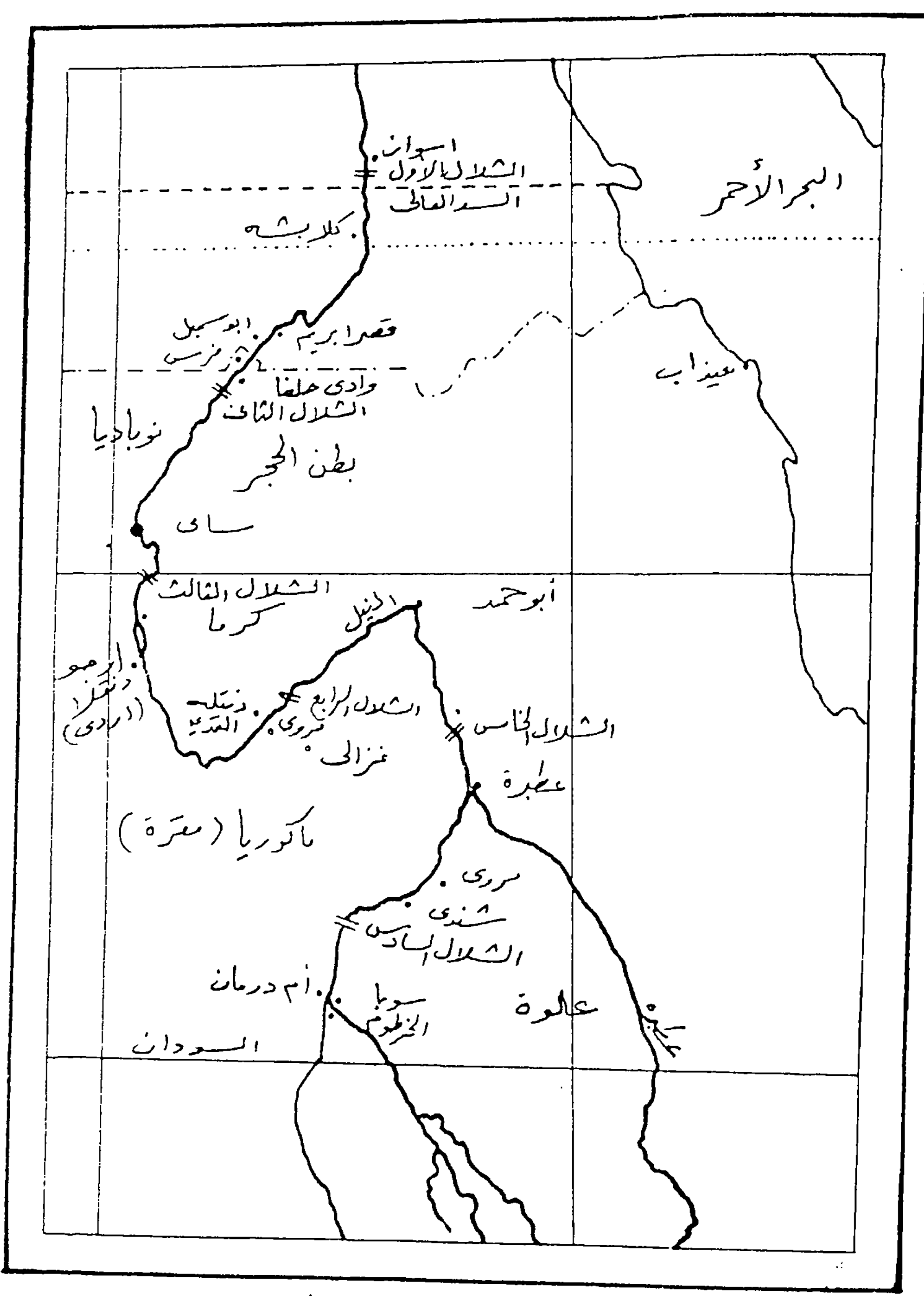
فترة شغور من خريف ١٠٥٦ إلى ربيع ١٠٥٨ م .

٢٥ –بطرس الثانى	من ربيع ١٠٥٨ – ٢٢ مايو ١٠٦٢ م
٢٦ –جورج	من صيف ١٠٦٢ – ١٤اغسطس ١٠٩٧ م
٢٧ –خائيل الثانى	من ١٠٩٧ (؟) – حوالى ١١٢٥ – ١١٣٠ م
٢٨ –عيسو الثانى	من حوالى ١١٢٥ – ١١٣٠ إلى ١١٧٠ – ١١٧٥ م
٢٩ –تامر ؟	من ؟ –٣١. مارس ١١٩٣ (؟)



خريطة بلاد النوبة السفلى

(عن تقرير مصلحة الآثار المصرية عن آثار بلاد النوبة المهددة بالغرق لمناسبة مشروع السد العالى)



النيل من الشلال الأول إلى الشلال السادس

المصـادر والمـراجـع

أولا : المصادر :

١ – الاصطخـرى

(أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرخى) ت فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى .

– المسالك والممالك .

تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحينى – الجمهوريـة - العربيـة المتحـدة ، ١٣٨١ هـ /١٩٦١م .

٢ – البـلاذرى

(أحمد بن يحيى بن جابر) ت ٢٧٩ هـ

– فتوح البلدان ، القسم الأول .

نشره ووضع ملاحقه وفهارسه د. صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٦ .

٣ – ابن خلدون

(عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جابر) ت ٨٠٨ هـ :

– العبر وديوان المبتدأ والخبر ، الجزء الأول . القاهرة ١٣٥٥ هـ/١٩٣٦ م .

٤ – ساويرس بن المقفع

(أسقف الاشمونين) ت أواخر القرن ٤ هـ/أواخر القرن ١٠ م :

– سير الآباء البطاركة المعروف بسير البيعة المقدسة ، المجلد الأول ، نشر .

chr. Fred. Seybold (Scriptores Arabici Textus).

المجلد الثانى ، الجزاءان الثانى والثالث ، نشر يسى عبد المسيح وأزولد بورمستر وعزيز

سوريال عطية ، جمعية الآثار القبطية ١٩٤٨ و١٩٥٩ .

٥ – القلقشندى (شهاب الدبن أحمد بن على) ت ٨٢١ هـ :
– صبح الاعشى فى صناعة الانشا .القاهرة ١٩١٣ – ١٩١٩ .

٦ – المسعودى (أبو الحسن على بن حسين بن على) ت ٣٤٦ هـ :
– مروج الذهب ومعادن الجوهر .
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٦٤ .

٧ – المقريزى (تقى الدين أبو العباس أحمد بن على) ت٨٤٥ هـ :
– المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، جزءان . ط . بولاق ١٢٧٠ هـ .
– السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الأول ، ق ٢و٣ .
نشر د. محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٥٧ و١٩٨٠ .
– البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب. تحقيق عبد المجيد عابدين ، القاهرة ١٩٦١ م .

٨ – أبو المكارم جرجس بن مسعود (المتوفى فى أوائل القرن السابع الهجرى)
– « كنائس وأديرة مصر » المنسوب لأبى صالح الأرمنى ، نشره ايفيتس ، اكسفورد ١٨٩٥ .

٩ – اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب

الكاتب المعروف بابن واضح الاخبارى) ت
بعد ٢٩٢ هـ .
– تاريخه ، الجزء الأول .
النجف ، ١٣٥٨ هـ .

ثانيـا : المراجع العربية الحديثة :

١ - إبراهيم على طرخان (دكتور)
امبراطورية البرنو الإسلامية ، القاهرة ١٩٧٥ .

٢ - ثروت عكاشة (دكتور)
- انسان العصر يتوج رمسيس ، القاهرة ١٩٧١ .

٣ - حسنين محمد ربيع (دكتور)
البحر الأحمر فى العصر الأيوبى (البحر الأحمر فى التاريخ وال
الدولية المعاصرة سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث ، جامعة
شمس ، أبحاث الأسبوع العلمى الثالث ١٠ - ١٥ مارس ٧٩
القاهرة ١٩٨٠ .

٤ - زاهر رياض (دكتور)
- اتجاهات مصر الإفريقية فى العصور الوسطى ، مجلة كلية الآد
جامعة القاهرة ، جـ١ ، ١٩٥٨ .
- مصر وافريقيا ، القاهرة ١٩٧٦ .

٥ - سيده اسماعيل كاشف (دكتور)
مصر فى فجر الإسلام من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطول
القاهرة ١٩٧٠ .

٦ - الشاطر بصيلى عبد الجليل
تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط من القرن السابع إلى
التاسع عشر للميلاد ، القاهرة ١٩٧٢ .

٧ - شحاته آدم محمد (دكتور)
نصر تحقيق فى بلاد النوبة : مصر (رسالة اليونسكو ٢٢٤-٢٢٥ ، مارس -١
١٩٨٠م

٨ - شوقى الجمل (دكتور)
تاريخ سودان وادى النيل ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٦٩ .

٩ - صلاح الدين الشامى (دكتور)
الموانى السودانية (سلسلة الألف كتاب) ١٩٦١ .

١٠ – عبد الشافى غنيم (دكتور)
البحر الأحمر طريقا للدعوة الإسلامية (البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة – سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث ، جامعة عين شمس) القاهرة ١٩٨٠ .

١١ – عبد المجيد عابدين (دكتور)
نظرات عامة فى تاريخ تعريب السودان (فى : *SNR XL, 1959*)

١٢ – عبد المنعم أبو بكر (دكتور)
بلاد النوبة (المكتبة الثقافية ٥٨) ، القاهرة ١٩٦٢ .

١٣ – عبد المنعم ماجد (دكتور)
ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر (التاريخ السياسى) ، القاهرة ١٩٦٨ .

١٤ – عطية القوصى (دكتور)
تاريخ دولة الكنوز الاسلامية ، القاهرة ٩٨١

١٥ – فريد شافعى (دكتور)
العمارة العربية فى مصر الاسلامية ، عصر الولاة . المجلد الأول ، القاهرة ١٩٧٠ .

١٦ – محمد حمدى المناوى
نهر النيل فى المكتبة العربية ، القاهرة ١٩٦٦ .

١٧ – محمد عوض محمد (دكتور)
السودان الشمالى – سكانه وقبائله ، القاهرة ١٩٥١ .

١٨ – محمد محمد أمين (دكتور)
العبدلاب وسقوط مملكة علوة ، مجلة الدراسات الافريقة ، العدد الثانى ، ١٩٧٣ .

١٩ – مصطفى محمد مسعد (دكتور)
– امتداد الإسلام والعروبة إلى وادى النيل الأوسط ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد الثامن ١٩٥٩ .

– البجة والعرب فى العصور الوسطى ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد ٢١ ، الجزء الثانى ، ١٩٥٩ .
– الإسلام والنوبة ، القاهرة ١٩٦٠ .

٢٠ – مكى شيكة (دكتور)
السودان عبر القرون ، القاهرة ١٩٦٤ .

٢١ – يوسف فضل حسن
– المعالم الرئيسية فى الهجرة العربية إلى السودان (دراسات فى تاريخ السودان ، الجزء الأول) ، الخرطوم ١٩٧٥ .
– عبد الله بن عبد الحميد العمرى من رواد الهجرة العربية إلى السودان (دراسات فى تاريخ السودان ، الجزء الأول) ، الخرطوم ١٩٧٥ .

ثالثـا : المراجع الأجنبية المترجمة :

١ – بوركهارت (جون لويس)
رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان ، ترجمة الأستاذ فؤاد أندراوس ، القاهرة ١٩٥٩ .

٢ – ليزلى جرينر
سد عال فوق أرض النوبة ، ترجمة على جمال الدين عزت ، القاهرة ١٩٦٦ .

٢ – ولترايمرى
مصر وبلاد النوبة ، ترجمة تحفه حندوسه ، القاهرة ١٩٧٠

رابعـا : تقارير :

(أ) تقرير مصلحة الآثار عن آثار بلاد النوبة المهددة بالغرق لمناسبة مشروع السد العالى . القاهرة ١٩٥٥ .

(ب) تقرير مصلحة الآثار السودانية فى المؤتمر السادس للآثار فى البلاد العربية (ليبيا – طرابلس ١٨ – ١٩٧١/٩/٢٧) ، القاهرة ١٩٧٣

خامسـا : المراجع الأجنبية

1. Adams, W.Y.,
   - Archaeological Survey of Sudanese Nubia, Introduction, kush IX,1961,
   - The Christian Potteries at Faras, Kush IX, 1961.
   - Pottery Kiln Excavations, Kush X, 1962.
   - Sudan Antiquities Service Excavations in Nubia, Fourth Season 1962-63, Kush XII 1964.
   - Sudan Antiquities Service Excavations at Meinarti, 1963-64 Kush XIII, 1965
   - Post-Pharaonic Nubia in the light of Archaeology I, JEA 50 (1964).
   - Post-Pharaonic Nubia in the light of Archaeology II, JEA 51 (1965).
   - Post-Pharaonic Nubia in the light of Archaeology III, JEA 52 (1966).
   - The University of Kentucky excavations at Kulubnarti 1969, Nubische Kunst, 1970.
   - The evolution of Christian Nubian Pottery, Nubische kunst, 1970,
2. Adams, W.Y., and Hans-Ake Nordström,
   - The Archaeological survey on the west Bank of the Nile, Third season 1961-62, Kush XI, 1963.
3. Ahmed M.El-Batrawi,
   - "Mission Archéologique de Nubie 1929-1934". Report on the human remains, Gairo, 1935.
4. Almargo, M., Presedo, F., and Pellicer, M.,
   - Report on the Spanish excavations in the Sudan 1961-62, Kush XI, 1963
5. Amelia B. Edwards, A Thousand Miles Up the Nile, London 1890
6. Arkell, A.J.,
   - A History of the Sudan from the earliest times to 1821, London 1955.
7. Bruce, G. Trigger,
   - The Cultural Ecology of christian Nubia, Nubische Kunst, 1970.
8. Budge, E.A.W.,
   - Text relating to Saint Mena of Egypt and Canons of Nicaea

in a nubian dialect with facsimile, London, 1909.

– A History of Ethiopia, Nubia & Abyssinia, Vol.1, London, 1928

9. Charles Maystre,

– Fouilles Américano-Sui sse aux églises de Kageras. Ukma Est et Songi Sud, Nubische Kunst, 1970.

10. Crowfoot, J.W.,

– Christian Nubia, JEA XIII, 1927.

11. Crum, B.W.E.,

– A Nubian prince in an Egyptian Monastery, in "Studies Presented to Griffith, F.LI., London, 1932.

12. Donadoni, S.,

– Les Fouilles à L'Eglise de Sonqi Tino, Nubische Kunst, 1970.

13. Dunbar, J.H.,

– Betwixt Egypt and Nubia, A.E., December 1929, Part IV, London.

14. Emery, W.B.,

– Preliminary report of the work of the A.S.N. 1929-1930, ASAE, t.XXX Le Caire, 1930.

– Preliminary report of the A.S.N. 1932-34, ASAE, t. XXX-III, Le Caire, 1933.

– The Royal tombs of Ballana and Qustul, Caire, 1938.

– Nubian treasure, an account of the discoveries at ballana and Qustul, London, 1948.

15. Emery W.B., and Kirwan, L.P.,

– The Excavations and Survey between wadi es-Sebua and Adindan. Cairo, 1935.

16. Ensor, F.L.,

– Incidents on a Journey through Nubia to Darfoor, London, 1881.

17. Erich Dinkler,

– Die Deutschen Ausgrabungen auf Den inseln Sunnarti, Tangur, und in Kulb 1968-69, "English Summary". Nubische Kunst, 1970.

18. Fairholt, F.W.,

– Up the Nile, and home again, London, 1862.

19. Firth, C.M.,

– ASN, Report for 1908-1909 Cairo,

– ASN. Bulletin No 5 dealing with the work from November 1

to Dec, 31, 1909, Cairo, 1912.
- Gadallah, F.F.,
- ASN, Report For 1910-1911, Cairo, 1927.

20. Gadallah, FF.,
   - The Egyptian Contribution to Nubian Christianity, SNR XL, 1959.
21. Gauthier, M.H.,
   - Le Temple de Kalabcha (en titre "Les Temples immergés de la Nubie"; Tome Priemier, Le Caire, 1911.
22. Griffith, F.LI.,
   - Pakhoras-Bakharas-Faras in Geography and History, JEA XI, 1925.
   - Oxford Excavations in Nubia, LAAA XIII, 1926; LAAA XIV, 1927; LAAA XV, 1928.
23. Hollond, E.J.,
   - A Lady's Journal of her Travels in Egypt and Nubia (1858-59), London, 1864.
24. Ivan Hrbek,
   - Egypt, Nubia and the Eastern deserts, In "The Cambridge History of Africa", Vol.3. from C.1050 to C.1600 Edited by Roland Oliver, London, 1977.
25. Jakobielski, S.,
   - Polist Excavations at Old Dongola 1969, Nubische Kunst, 1970.
   - Some remarks on Faras inscripitons, Nubische Kunst, 1970.
   - Faras III, A History of the Bishopric of Pachoras on the Basis of coptic inscriptions, Warszawa, 1972.
26. KamilaKolodziejczyk,
   - Some remarks on the Christian ceramics from Faras, Nubia Christiana, Tom. 1, 1982.
26. Kirwan. L.P.,
   - Christianity and the Kura'an, JEA XX, 1934.
   - A Contemporary account of the conversion of the Sudan to Christianity, SNR XX, Part II, 1937.
   - Studies in the later History of Nubia, LAAA XXIV.
   - Notes on the topography of theChristianNubian Kingdoms, JEA XXI, 1955
   - The international position of sudan in Roman and Medieval times SNR XL, 1959.

28. Lane Poole, S.,
- A History of Egypt in the Middle ages, London, 1924.

29. Leclant, J.,
- The Empire of Kush: Napata and Meroe, In "General History of Africa II, Unesco, 1981",

30. Lepsius, Dr. Richard,
- Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinai, London, 1853.

31. Macmichael, H.,
- The Anglo Egyptian Sudan, London, 1943.
- A History of the Arabs in the Sudan, Vol. 1, London, 1967.

32. Maspero, G.,
- Rapport relatif â la consolidation des temples (en titre "Les temples immergés de la Nubie") Le Caire, 1911.

33. Meinardus, O.,
- The Copts in Jerusalem, Cairo, 1960.
- Christian Egypt Faith and Life, Cairo 1970.

34. Michalowski, K.,
- Polish Excavations at Faras 1961, Kush X, 1962.
- Polish Excavation at Faras, Second Season 1961-62, Kush XI, 1963.
- Polish Excavation at Faras, 1962-63 Kush XII, 1964.
- Polish Excavation at Faras, 1963-64, Kush XIII, 1965
- Polish Excavations at Old Dongola, First Season, Nov. - Dec, 1964, Kush, XIV 1966.
- Faras, Die Kathedrale aue dem Wustensand, Zurich. 1967.
- Les fouilles polonaises à Dongola, Nubische Kunst, 1970.
- Open Problems of Nubian art and Culture in the Light of the discoveries at Faras, Nubische Kunst, 1970.
- Faras, Wall-Paintings in the Collection of the National Museum in Warsaw, 1974.
- The Spreading of Christianity in Nubia, In "General History of Africa II, Unesco, 1981.

35. Mileham, G.S.,
- Churches in Lower Nubia, Philadelphia, 1910.

36. Millet, N.,
- Gebel Adda, Preliminary report 1965-66, JARCE 6, Cairo, 1967.

37. Monneret de Villard,
- La Nubia Medioevale, 4 Vols., Le Caire, 1935-1957.

38. Moorsel, Paul Van, and others,
- The Central Church of Abdallah Nirqi, Leiden, 1975.

39. Mustafa M.Musad,
- The downfall of the Christian Nubian Kingdoms, SNR XL, 1959.

40. Myers, O.H.,
- The Consolidation and Protection of ancient monuments of the Sudan, SNR XXIX, part II, 1948.

41. Newbold, D.,
- The Crusaders in the Red Sea and the Sudan, SNR XXVI, part II, 1945.

42. Nigm Ed Din M.Sherif,
- The Arabic inscriptions from Meinarti, Kush XII, 1964.

43. Norden, F.L.,
- Voyage d'Egypte et de Nubie, Tome Troisieme, Paris, 1798.

44. Nordström, Hans-Ake,
- Excavation and Survey in Faras, Argin and Gezira Dabarosa, Kush X, 1962.

45. Paul, A.,
- The Hadareb, A Study in Arab-Beja relationships, SNR XL, 1959.

46. Plumley, J.M.,
- Qasr Ibrim 1963-64, JEA 50, 1964.
- Qasr Ibrim 1966, JEA 52, 1966.
- Some examples of Christian art from the excavations at Qasr Ibrim, Nubische Kunst, 1970.
- Qasr Ibrim 1976, JEA 63, 1977.
- New evidence on Christian Nubia in the Light of recent excavations, In Nubia Christiana, Tom. 1, Warszawa, 1982.

47. Reisner.G.
- ASN, Report for 1907-1908.

48. Save-Söderberg, T.,
- Preliminary report of the Scandinavian Joint Expedition (Archaeological investigations between Faras and Gemai, Nov. 1961-Mar. 1962), Kush XI, 1963.
- Christian Nubia - The Excavations Carried out by the Scandinavian Joint Expedition to Sudanese Nubia, Nubische Kunst, 1970.

49. Schneider, Hans D.,

- Abdallah Nirqi- Description and Chronology of the central church with Special reference to the objects and Pottery, Nubische Kunst, 1970.

50. Shinnie, P.L.,

- The University of Ghana Excavations at Debeira West, Kush XI, 1963.
- The Univ. of Ghana Excav. At Debeira west 1963, Kush XII, 1964.
- The Univ. of Ghana Excav. at Debeira west 1964, Kush XIII, 1965.
- Medieval Nubia, In "The Middle ages of African History"
  London, 1867.
- Christian Nubia, In "The Cambridge History, Vol. 2, London. 1978.

51. Skeat, T.C.,

- A letter from the King of the Blemmyes to the King of the Noubades, JEA 63, 1977.

52. Somers Clarke,

- Ancient Egyptian frontier fortresses, JEA, III, 1916.
- Christian Antiquities in the Nile Valley, Oxford, 1912.

53. Troupeau, G.,

- La "Description de la Nubie" D'al-uswani (IV/X Siècle), Arabica Revue d'Etude Arabes, Tome Premier 1954, Leiden.

54. Vantini, G.,

- Christianity in Medieval Nubia, Cairo, 1976.

55. Vercoutter, J.,

- Les Trouvailles Chrétienne Francaises à Aksha, Mirgissa et Sai, Nubische Kunst, 1970.

56. Verwers, G.J.,

- The Survey from Faras to Cezira Dabarosa, Kush X, 1962.

57. Weigall, A.,

A Report on the Antiquities of Lower Nubia (the first Cataract to the Sudan frontier) and their condition in 1906-7. Oxford.

سادسا : تقارير أخرى عن الحفائر فى النوبة المصرية :

1. Campagne international de l'Unesco pour la sauvegarde des monuments de la Nubie:
   - Fouilles en Nubie (1959 - 1961), Le Caire, 1963.
   - Fouilles en Nubie (1961 - 1963), Le Caire, 1967.
2. Actes du II Symposium international sur la Nubie (Fevrier 1-3,1971) organisé par l'Institut d'Egypte. Edité par Labib Habachi, Le Caire, 1981.

اختصـــارات

1. **Actes du II Symposium** = Actes du II Symposium international sur la Nubie (Fevrier 1-3, 1971), Le Caire 1981.

2. **A.E.** = Ancient Egypt.

3. **ASAE** = Annales du service des Antiquités de l'Egypte, Cairo.

4. **ASN** = The Archaeological survey of Nubia.

5. **Budge**, Ethiopia, Vol.1 = Budge, E.A. W., A History of Ethiopia, Nubia and Abyssinia, Vol.1, London 1928.

6. **Fouilles** en Nubie I = Fouilles en Nubie (1959-1961), Le Caire, 1963.

7. **Fouilles en** Nubie II = Fouilles en Nubie (1961-1963) Le Caire. 1967.

8. **Jakobielski**, Bishopric = Jakobielski, S., A History of the Bishopric of Pachoras on the basis of Coptic inscriptions. Warszawa, 1972.

9. **JARCE** = Journal of the American Research Centre in Egypt, Cario.

10. **JEA** = Journal of Egyptian Archaeology, Oxford.

11. **Kush** = Kush, Journal of the Sudan Antiquities Service, Khartoum.

12. **LAA A** = Annals of Archaeology and Anthropology, Liverpool.

13. **Monneret de Villard, Nub. Med.** = U. Monneret de Villard, La Nubia Medioevale, Vol. I - IV, Cairo, 1935-1957.

14. **Nubische Kunst** = Kunst und Geschichte Nubiens in Chrislicher Ziet. Recklinghausen. 1970.

15. **SNR** = Sudan Notes and Records, Khartoum,